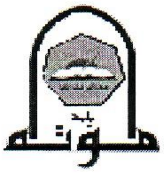

جامعة مؤتة

كلية الدراسات العليا

جماليات الحوار ودلالاته في القرآن الكريم

"دراسة فنية وبلاغية"

إعداد الطالب

عطاالله عبيد سلامة الطلالعة

إشراف

الأستاذ الدكتور حسن محمد الربابعة

رسالة مقدمة لكليـة الدراسـات العليـــا

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجـة الماجستير

فـي الآداب/ قسم اللغــة العربيـــة

جامعة مؤتة، 2015

الإهداء

إلى من سكنت روحهما نفسي، وأضاءت لي دعواتهما طريقي، إلى روح والدي ووالدتي

إلى سندي وعزوتي إخواني وأخواتي

إلى رفيقة دربي التي واصلت معي الليل والنهار تشد من آزري

إلى فلذة كبدي أبنائي وبناتي عبيد ومها وأحمد وطيبة

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عطاالله عبيد الطلالعة

الشكر والتقدير

الحمدُ لله عدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشه ورضا نفسه على ما أنعم من إكمال لهذه لدراسة، وأصلي وأسلم على نبي الأمة المعلم الأول سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأنا على مشارف إنهاء هذه الرسالة, فما زال فضل الله العظيم يتوالى علي بأن أعانني أن أخطَّ بقلمي كلمات الشكر والثناء لذوي الفضل الذين أفاضوا علي بنصحهم, وسروا لي علمهم, يقول رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم –: " من لا يشكر الله من لا يشكر الناس"؛ لذا يسعدني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور حسن محمد الربابعة الذي أشرف على رسالتي وأفادني بالنصح والرأي السديد منذ أن كانت هذه الرسالة مجرد فكرة, فغمرني بعلمه الزاخر وعطائه الوافر, حتى استطعت أن أشق طريقي لترى هذه الرسالة النور, فبارك الله له في علمه وعمله وجزاه الله خير الجزاء.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الكرام:
الأستاذ الدكتور زايد المقابلة، والأستاذ الدكتور فايز القيسي، والدكتور أحمد الزعبي، ذلك لتفضلهم بقبول المشاركة في مناقشة الرسالة, وأرجو الله أن تساهم ملاحظاتهم السديدة في أغناء هذه الرسالة وإثرائها, فجزاهم الله خيرا.

وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم, وأن يجزيهم كل الخير والتوفيق والنجاح.

وأخيرا كل التقدير لمن يستحق الشكر والثناء ولم يبخل علي بالعطاء والدعاء وأسأل الله العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء.

عطاالله عبيد الطلالعة

فهرس المحتويات

المحتوى	رقم الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
الملخص باللغة الانجليزية	و
المقدمة	1
الفصل التمهيدي: جماليات الحوار المفهوم والأهمية	3-11
أولا: مفهوم الجمال والجمالية	4
ثانيا: الحوار القرآني المفهوم والأهمية	6
الفصل الأول: حوار الله I. مع خلقه	12-36
أولا: حوار الله في خلق آدم	13
ثالثا: حواره تعالى مع الأنبياء والرسل	22
الفصل الثاني: حوار الأنبياء مع أقوامهم وأهل بيتهم	37-
أولا: **حوار الأنبياء مع أقوامهم**	38
ثانيا: حوار الأنبياء أهل بيتهم	67
الحوار الداخلي وبنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم	77
أولا: الحوار الداخلي في القرآن الكريم	78
ثانيا: بنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم	92
الخاتمة	107
قائمة المصادر والمراجع	110

الملخص

جماليات الحوار ودلالاته في القرآن الكريم: "دراسة فنية وبلاغية"

عطاالله عبيد سلامة الطلالعة

جامعة مؤتة، 2014

استهدف الدراسة الحوار في القرآن الكريم ودراسته فنياً وبلاغياً وبيان جمالياته في سياقه القرآني. فقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي التحليلي، والمنهج الأسلوبي. وجاءت الدراسة في مقدمة وتمهيدٍ وثلاثة فصول وخاتمة، تتناولت المقدمة أهداف الدراسة وأهميتها، وبعض الدراسات السابقة التي تناولت الحوار. بينما تناول التمهيد جمالية الحوار من حيث المفهوم والأهمية، ودرس الفصل الأول حوار الله . I. مع خلقه، أما الفصل الثاني فدرس حوار الأنبياء مع أقوامهم وأهل بيتهم، وكشف الفصل الثالث عن الحوار الداخلي وبنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم، وانتهت الدراسة بخاتمة لخّصت أهم النتائج التي توصلّت إليها.

ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة أن حوارات القرآن الكريم كلها دروس وعبر، ومنها مناشدة المخالفين لبيان سر مخالفتهم، حتى توضح لهم الطريق الذي حادوا عنه. وتُمثِّل المواقف الحوارية في القصص القرآني نماذج حيَّة لأدب الحوار، فإنَّ حوارات الأنبياء مع أقوامهم تشير بكل وضوح إلى أدب الأنبياء في كل كلمة تفوَّهوا بها. ويهدف الحوار إلى إبراز الجوامع المشتركة بين الطرفين وتعميقها في مختلف المجالات والتأكيد على ضرورة نشر قيم الاعتدال والوسطية والتسامح بين الناس والاستعداد لقبول الآخر.

Abstract

Aesthetics dialogue and connotations in the Koran: "technical study "and rhetorical

Atallah Obaid Al talalah

Muta University .2014

The study targeted a dialogue in the Holy Quran and studied technically and rhetorical statement and aesthetics in Quran context. The study relied on the descriptive and analytical approaches, and stylistic approach. The study came in the introduction and preface, three chapters and a conclusion, the study provided goals and their importance, and some previous studies that addressed the dialogue. While eating aesthetic dialogue boot in terms of the concept and with his creation, importance, and studied the first chapter of God dialogue Chapter II, he studied the prophets dialogue with their own people and the people of their home, revealing the third quarter for internal dialogue and sentence structure dialogue in the Koran, and ended the study conclusion summarized the most important findings.

Notable among the findings of the study that dialogues Koran lessons and across the whole, including the appeal violators of the statement violated the secret, even shows them the way, who departed with him. The talk show positions in the Quran stories vivid examples of literature dialogue, the prophets dialogues with their people indicate clearly to the literature of the prophets in every word uttered by. It aims to highlight the dialogue between the two sides shared the mosques and deepened in various fields and to emphasize the need for the deployment of moderation and tolerance between people's values and a willingness to accept the other.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده، وجعله معجزة إلى يوم الدين، يغترف منه السابقون واللاحقون، ومنهلا لطلبة العلم والدارسين، والصلاةُ والسلامُ على الحبيب المصطفى، أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأقواهم حجةً وبرهاناً، وبعد؛

سيبقي القرآن الكريم بين أيدينا ننهل منه ونروي ظمأنا، يبحر بنا في معجزاته التي تكشفها السنون، وكلما غصنا نحو أعماقه وجدنا كنوزاً من المعرفة تفتح الآفاق نحو الجديد، كتاب الله الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وادّخرها لكل باحث متعمق في أسراره وخفاياه، وواحدة من معجزاته كانت القصص التي استحضرت الماضي بشخوصه وأحداثه، فألهمتنا العبرة والمعرفة بماض دثرته السنون، فحملت القصة القرآنية جماليات إبداعية نزين بها حياتنا ونهذب بها نفوسنا، ولمّا كان الحوار ركناً أساساً من أركان القصة القرآنية كانت الوقفة واجبة عنده، ومحاولة التعمق فيه بالدرس والتحليل.

إن ما وصلت إليه أمة القرآن من تناحرات فيما بينها وتنازعات، وما آلت إليه من تباعد في الرؤى والتطلعات، وعجزٍ في مواجهة المربكات الداخلية والخارجية، كان سببه غياب الحوار؛ فلو كان الحوار ملجأها في حلِّ تنازعاتها وخلافاتها، لما ضعفت، ولما هانت، ولما ظلت غارقة في بحار من الظلمة والتخبط.

وإن الأمة جعلت آليات الحوار خلف ظهرها واستكانت إلى لغة العنف والقوة، وكأنّها نسيت قوله – تعالى– لنبيه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وجادلهم بالتي هي أحسن﴾([1])، فذلك المنهج القرآني للحوار الذي سجله رب العزة من فوق سبع سموات، فالحجة والإقناع والاستماع للآخر، حتى للأعداء هو منهج الحوار، الذي رسّخه القرآن الكريم من خلال الحوارات التي سيقت ضمن مشاهد قصصية جعلها الله – سبحانه وتعالى– آية لأمة الإسلام.

ونظراً للحالة التي تعيشها الأمة، فهي بأمس الحاجة للرجوع إلى دستورها الرباني؛ لتستقي منه الدروس والعظات، لذا جاء هذا البحث لدراسة الحوار القرآني

---

[1]) سورة النحل: الآية 125

الكريم فنيَّاً وبلاغيَّاً وبيان جماليَّاته في سياقه القرآنيّ. والحقُّ إنَّ هذه الظاهرة القرآنيَّة تستحقُّ الدَّرس من جهة، لتوافر المادة الغزيرة، ولإبراز مشاهد فنيَّة وبلاغيَّة منها من أخرى، ومن الملاحظ لمستقرِئ آيات القرآن الكريم أنَّ الحوار فيه أسلوب متميز، تناثرت نماذجه في غير آية من آيات الكتاب العزيز، وجاء القرآن ليعرض الحوار بشكل متميز يسترعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في غير سورة، وتناولت تلك المحاورات مواضيع مختلفة تهمُّ النَّاس كافة.

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة الحاليَّة فقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي التحليليّ، والمنهج الأسلوبيّ، وجاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة أهداف الدراسة وأهميتها وبعض الدراسات السابقة التي عالجت موضوعها، وتناول التمهيد جماليَّة الحوار من حيث المفهوم والأهمية، ودرس الفصل الأول حوار الله سبحانه وتعالى مع خلقه، أما الفصل الثاني فيدرس حوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم، أمَّا الفصل الثالث فكشف عن الحوار الداخلي وبنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم، وانتهت الدراسة بخاتمة لخصت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وترجع أهمية الدراسة إلى أنَّها تتناول موضوعاً متعلَّقاً بكتاب الله – I– وتستعرض أسلوباً من أساليب القرآن، وعلى ذلك فإنَّ سبب اختيار موضوع الدراسة يعود لأهمية أسلوب الحوار في عرض الدعوة الإسلاميَّة، وبيان هذا الأسلوب المتميز الذي اتبعه القرآن الكريم بشكلٍ منهجيٍّ، وأنَّ أسلوب الحوار من أنجع الأساليب وأمثلها لحل المشاكل بين الأفراد والمجتمعات، حيث تدور المحاورات ويبدي كلٌّ منهم رأيه ووجهة نظره بعيداً عن الضغوط والأهواء الفاسدة.

الدراسات السابقة

نظراً لتوافر الآيات التي تتضمن الحوار في القرآن الكريم التي تشكِّل ميداناً خصباً كبيراً لدرسها، فقد ارتقى بعض الدارسين إلى دراسة الحوار في القرآن الكريم من مثل: إسماعيل علي السامرائي ومعن ضمرة وهالا سعيد، أمَّا إسماعيل السامرائي فعنون رسالته بـ "الحوار في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، 1989، ناقش الحوار في القرآن الكريم من حيث كونه أسلوباً منهجياً اتبعه القرآن للدعوة والإقناع، وقد تناولت الدراسة الحوار القرآني من حيث أنواعه ومضموناته، وقواعده في الإقناع الناجح، وخلصت إلى مجموعة من التوصيات للدعاة والمحاورين بالالتزام بآداب الحوار وأصوله في القرآن([1]). أما معن ضمرة في دراسته الموسومة بـ "الحوار في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، 2005. فقد عرضت لنماذج من الحوار في القرآن الكريم، وعالجت آداب الحوار والمناظرة، وكان مقصدها الناحيّة الدعويَّة، وقد افتقرت الدراسة إلى النواحي الفنيَّة والبلاغيَّة وجماليَّات التعبير في الحوار، وهي دراسة تابعة لكلية الشريعة([2]). أمَّا دراسة أحمد سليمان البشايرة الموسومة بـ"مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، وهي دراسة منشورة في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2005، وقد بحثت هذه الدراسة في الخصائص الأسلوبية والموضوعية في الحوار القرآني، وهي دراسة متخصصة في الشريعة الإسلامية([3]). أما عبدالله الجيوسي في دراسته الموسومة بـ"أسلوب الحوار في القرآن الكريم(خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية)، وهي دراسة منشورة في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2006، وقد ركزت هذه الدراسة على خصائص الحوار الإعجازية

---

[1]) السامرائي، إسماعيل، الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق. 1989.

[2]) ضمرة، معن، الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005.

[3]) البشايرة، أحمد سليمان، مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد2، العدد3، 2005، ص ص155-182.

والنفسية، وكان اهتمامها منصبا على النواحي النفسية في الحوار القرآني([1]). وأمَّا هالا سعيد فكانت رسالتها "الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2010. وقد قامت على توضيح آيات الحوار في مشاهد يوم القيامة من الناحيتين الدلالية والبيانية، فقد اختصت بذلك الحوار ولم تشمل جوانب الحوار الأخرى([2]).

[1]) الجيوسي، عبدالله، أسلوب الحوار في القرآن الكريم: خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد2، العدد1، 2006. ص ص125-139

[2]) سعيد، هالا، الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن. 2010.

التمهيد: جماليات الحوار المفهوم والأهمية

أولا: مفهوم الجمال والجمالية

للجمال أثر بالغ في النفس، فإنه إذا استمكن منها، واستجمع صورته داخلها، وانسجم مع متطلباتها، لم يكن للنفس من بد إلا الشعور بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، فتمتلئ فرحاً وسروراً. أمَّا ما لا يجمل عندها، فإنها منه تأنف، وعنه تبتعد، فتمجه مجا، وما يزيدها إلا نفوراً وإعراضاً([1]). وقد تعددت التعريفات التي تناولت الجمال، وقد يعود السبب إلى أنَّ الجمال أمر نسبي، يصعب الحكم عليه بمؤشرات ثابتة، وهو يختلف من شخص إلى آخر، ولكن هناك بعض المحاولات التي اجتهدت في توضيح مفهومه، وبما أنَّ المفهوم اللغوي يكون في الغالب مفتاحاً للمفهوم الاصطلاحي، فقد اتجهت الدراسة لتعريف الجمال لغة، واصطلاحاً.

أ. الجمال لغة:

جاء في مختار الصحاح: "(الجَمَالُ) الحُسنُ، وقد(جَمُلَ) الرجلُ بالضم(جمالاً) فهو (جميلٌ) والمرأة (جميلةٌ) و(جملاءُ) أيضاً بالفتح والمد"([2]). وورد في لسان العرب: " والجمالُ: مصدرُ الجميل، والفعل جَمُلَ. وقوله .I: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾[3]؛ أي بهاء وحُسن. والجَمَال: الحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جمُل الرجلُ بالضمِّ جمالاً، فهو جميلٌ. قال ابن الأثير: والجمالُ يقعُ على الصُّورِ والمعاني"[4].

---

[1]) الداية، رائد مصباح، البناءات الجمالية في النص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011، ص1

[2]) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، بيروت، لبنان، دار صادر للنشر والتوزيع، 2004، مادة (جَمُل)

[3]) سورة النحل، الآية6

[4]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط4، بيروت: دار صادر، 2005، 59/3

وبهذا المعنى ورد في المعجم الوسيط: "(جَمُلَ) جمالاً: حَسُنَ خَلْقُهُ. و– حَسُنَ خُلُقُهُ. فهو جَميلٌ"([1]).

ويظهر من خلال التعريفات السابقة أنَّ المعاجم اللغوية تقاربت في المعنى اللغوي لمادة جمال، وهو الحسن في الشكل والمضمون، وهما متلازمان لتشكيل صورة الجمال، وكما يظهر أنَّ الجمال صفة تضفي على النفس البهجة والسرور يكون مصدرهما شكل المقابل ومضمونه، ما يعني أن الإنسان يكون جميلاً إذا كان حسن الشكل، وحسن الأخلاق والسلوكيات.

ب. الجمال اصطلاحاً:

تعددت الآراء في تحديد تعريف دقيق لمصطلح الجمال، إذ إنَّ السبب في ذلك يعود إلى الإحساس بالجمال فهو أمر نسبي؛ أي يختلف من شخص إلى آخر، ومن طبيعة النفس البشريَّة الميل إلى ما هو جميل وقبوله، فالإحساس بالجمال والتوق إليه، مسألة فطريَّة في الإنسان، غير أنَّه من الصعوبة تحديد مفهومٍ كاملٍ وشاملٍ له، وذلك لما قد يواجه الباحث من تراكم للآراء واختلاف للمواقف حول هذه المسألة، هذا الاختلاف الذي قد يكون مردّه إلى سببين: أولهما الشيء المحكوم عليه بالجمال، وثانيهما اختلاف الأذواق([2]).

وعرّف الجمال بأنَّه: "ما يثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم والكمال، وقد يكون ذلك في مشهدٍ من مشاهد الطّبيعة، أو في أثرٍ فنيٍّ من صُنْع الإنسان، وإنَّنا لنعجز عن الإتيان بتحديدٍ واضحٍ لماهية الجمال؛ لأنَّه في واقعه إحساسٌ داخليٌّ يتولّد فينا عند رؤيته أثر تتلاقى فيه عناصر متعدِّدة ومتنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل ومعاييره، بل هي شعور انفعالي"([3]).

---

[1]) أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004، مادة (جمُلَ)، 238/1

[2]) رمضان، كريب، فلسفة الجمال في النقد الأدبي: مصطفى ناصف أنموذجا، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص17

[3]) عبدالنور، جبور، المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1984، ص187

يلاحظ من خلال ما سبق أن ما ورد في تعريف الجمال هو وصف للجمال، وقد حاكى هذا الوصف المفهوم اللغوي له، ويمكن القول إن الجمال بالنسبة لشخص ما، هو ما يضفي على النفس البهجة والسرور، والمتعة بالنظر إليه أو الاستماع له، أو معايشته، فوسائل تحديد الجمال هي الحواس التي توصله إلى النفس.

وما هو جميل عند شخص معين، قد يكون قبيحاً عند غيره، لكن يمكن القول إن هناك مؤشرات أُتفق عليها قد تكون دالة على الجمال، فطول شعر المرأة مثلاً، واتساع عينيها وحورهما، هي من دلائل الجمال عندها، وهذا بالطبع لا يكون مطلقاً، فقد تتباين النفس في تذوق الجمال وتحديده. والجمالية لا تضيق على معنى الجمال فقط، بل تحمل مضامين أخرى، لذا فقد ذهب بعض الباحثين إلى تعريف الجمالية بأنها حب الجمال وتذوقه، ويبدو أنَّ اللفظة قد اتسعت في معناها لتشمل مفهوم الفن من أجل الفن[1].

ثانياً: الحوار القرآني المفهوم والأهمية

1. مفهوم الحوار

وردت لفظة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط؛ فقد وردت في سورة الكهف مرتين في قوله .I.: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[2]. وقوله .I.: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾[3]. وفي سورة المجادلة في قوله .I.: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[4].

---

[1]) جونسون، ر.ف، الجمالية، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1978، ص65

[2]) سورة الكهف: الآية34

[3]) سورة الكهف: الآية43

[4]) سورة المجادلة: الآية1

أ. الحوار لغة

جاء في لسان العرب:" الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحَاراً ومَحارَة وحؤوراً: رجع عنه وإليه"[1]، وقال ابن فارس:" الحاء والواو والراء ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورا، فأما الأول فالحَوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها، ويُقال: حوّرتُ الثياب أي بيَّضتها، ويقال لأصحاب عيسى .υ. حواريون لأنَّهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيّضونها، هذا هو الأصل ثم قيل لكل ناصر حَوَاري، وأمَّا الرجوع فيقال: حار إذا رجع، قال الله .I.: [إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ][2]. والعرب تقول: الباطل في حور، أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حُوُر، وتقول: كلمته فما رجع إليّ حِواراً وحَوَاراً ومَحْوَرة وحَوِيراً، والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة"[3]، ويوضح اللسان المعنى من مادة "حور" فيقول: "وكلمته فما رجع إليَّ حَوَاراً وحِوَاراً ومُحاورةً وحَوِيراً ومَحْوَرةً؛ أي جواباً، وأحار عليه جوابه: ردّه، والمحاورة: المجاوبة"[4].

وهذا التعريف هو الأقرب إلى المعنى الذي يدل على الحوار المستخدم الآن، فرد الجواب يكون لسؤال قد سُئل، والسؤال والجواب بين طرفين هو الحوار بعينه.

ب. الحوار اصطلاحاً

يعرّف الحوار اصطلاحا بأنّه: "تمثيل للتبادل الشفهي، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته، سواء أكان موضوعاً بين قوسين، أم غير موضوع، ولتبادل الكلام بين الشخصيات أشكال عديدة كالاتصال والمحادثة والمناظرة، والحوار المسرحي"([5]).

ولفظة الحوار تعني محادثة أو تجاذب أطراف الحديث، وهي تستتبع تبادلا للآراء والأفكار، وتستعمل في الشعر، والقصة القصيرة، والروايات، والتمثيليات لتصوير

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور).

[2]) سورة الانشقاق: الآية14

[3]) ابن فارس، أحمد (ت 395هـ)، المقاييس في اللغة، بيروت: دار الفكر، 1994، مادة (حور).

[4]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور).

[5]) زيتون، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، بيروت، مكتبة لبنان، 2002، ص79

الشخصيات ودفع الفعل إلى الأمام([1]). وإنَّ الحوار عملية تفاعلية نامية تعالج مسألة ما، بإحدى أدوات الحوار تحقيقاً أو تقديراً([2]).

إنَّ الأصل اللغويَّ وقسماً من استعمالات المادة اللغويَّة يدلان على أنَّ معنى الحوار أن هناك أقوالاً تدور بين طرفين، لها أن تبدأ من طرف فتنتقل إلى الآخر، ثم ترجع إلى الأول، وهكذا تقع المحاورة والتحاور. وقد اعتمد القرآن الكريم اعتماداً كبيراً على القصص، ولأنَّ الحوار في أصله مرتكز للقصة؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّه إحدى أسس الخطاب التي اعتمدها القرآن الكريم، فظهر على لسان شخصيات القصص القرآني التي تحاورت مع نفسها أو مع غيرها من أفراد أو جماعات.

ولم يبقَ مفهوم الحوار على معانيه السابقة، بل تطورت آلياته ومسمياته، واتخذ أدواراً رئيسة في حل الخلافات والمنازعات، وبسبب تطور الثقافة لدى الشعوب، فقد ظهرت كثير من المصطلحات التي حملت آفاقا في أدبيات الحوار، ومنها: حوار الحضارات والثقافات، وحوار الأديان، والحوار مع الذات، والحوار الاجتماعيّ، والحوار السياسيّ.

أما في القرآن الكريم، وهو محور هذه الدراسة، فقد وظِفَت المادة اللغوية (حَوَر) في ثلاثة عشر موضعاً، واختلف معنى هذه اللفظة بحسب موضعها والسياق القرآني الذي جاءت فيه، فنجدها بمعنى الرجوع، أي العودة إلى الحياة بعد الممات في قوله .I-: [إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحورَ][3]، وبمعنى "بياض العين في سوادها "وذلك بلفظ "حُور" في صفة نساء الجنة في أربعة مواضع، منها قوله .I-:[مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ][4]. ووظِّفت بمعنى أنصار عيسى – عليه السلام– في خمسة مواضع، منها قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّـهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّـهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّـهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن

---

[1]) عبدالنور، المعجم الأدبي، ص146

[2]) عنبتاوي، نهاية محمد غازي، أثر الحوار في رسم شخصيات الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، 2010

[3]) سورة الانشقاق: الآية 14

[4]) سورة الطور: الآية 20

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [1].
كما وظّفت بمعنى الحوار والمحاورة في ثلاثة مواضع[2].

2. أهمية الحوار

جعل الله الاختلاف بين الناس سمة خلقية، فيتعارضون، ويختلفون، ويتشابهون في أشياء، ويتضادون في أخرى، وهذه سنة الله في خلقه وطبيعة البشر، يقول الله .I.: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴿118﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴿119﴾[3]، واختلاف الأفكار بين البشر سبب للاختلاف فيما بينهم، حتى بين أهل الدين الواحد والمذهب الواحد. ومع هذا الاختلاف والتنوع أراد الله .I. لخلقه منهجاً واحداً دعاهم إليه، ولم يجبرهم عليه إجباراً، ليكون بعد ذلك حساب وجزاء، أراد الله .I. منهم أن يعبدوه وحده [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ][4].

إن تحقيق هذه الإرادة في واقع الثقلين المكلفين: الجن والإنس، يحتاج لفطرة سليمة في أصل الخلق، وقد تكفّل الله .I. للثقلين بذلك [فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ][5].

ولعلَّ هذا التنوع الدَّاعي إلى الاختلاف يحتاج إلى سبل لإزالة الاختلاف، أو تقليل مخاطره ليتقارب الناس، ومن ثم دعاهم الله .I. إلى الحوار والتعارف دعوة صريحة [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ][6]. لقد أمرهم بالتعارف، ووسيلته الأولى إقامة الحوار بين الأفراد والقبائل والشعوب والحضارات، و"إن الحوار يتطلب أولاً وقبل كل شيء

---

[1]) سورة الصف: الآية14

[2]) وقد أوردنا هذه المواضع سابقا في صفحة6

[3]) سورة هود: الآيتان(118-119)

[4]) سورة الذاريات: الآية 56

[5]) سورة الروم: الآية 30

[6]) سورة الحجرات: الآية 13

الاعتراف بحتمية وجود الاختلاف بمعنى التنوع في الحياة الإنسانية المطلقة، الأمر الذي يترتب عليه مبدأ الاعتراف بوجود الآخر وأحقيته في الوجود"[1].

والحوار ينقسم إلى نوعين هما: حوار خارجي، وحوار داخلي، الخارجي هو الحوار المسموع الذي يكون بين طرفين أو أكثر، وأمَّا الداخلي، فهو الحوار الذي يكون بين الإنسان ونفسه، وسيتم الحديث عن هذين النوعين في هذه الدراسة.

[1]) العلواني، رقية طه جابر، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، المدينة المنورة: مؤسسة آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، 2005، ص55-56

الفصل الأول

حوار الله I. مع خلقه

1.1 حوار الله في خلق آدم

كرّم الله سبحانه وتعالى آدم – عليه السلام– في أن استخلفه على الأرض، فكانت من أعظم مكرمات الله للإنسان أن جعله خليفة لله في أرضه، يعمرها ويقوم على اكتشاف مكنوناتها، وهذا الاستخلاف لآدم جعل الله فيه آية للناس، وقد جعله الله – سبحانه وتعالى– في مشهدين ضما حواراً دار بين ربّ العزة والملائكة، وبينه – تعالى– وإبليس، وهما مشهدان حواريان يحملان قصة الاستخلاف، وهما من المشاهد الغيبية التي أراد الله – سبحانه– أن يبينهما للناس، ليكون عبرة لهم وموعظة، وقد تناولت الدراسة كل حوار من هذين الحوارين، مبينة دلالاتهما.

1.1.1 حوار خلق آدم (حوار الله I. مع الملائكة):

يعد هذا المشهد الحواري الأول الذي بدأه الله – سبحانه– مع ملائكته، فكان المشهد مليئا بالدلالات والعظات. والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، فهو يُعبّر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحهما الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذ الحالة النفسية مجسمة مرئية. أما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيريدها شاخصة حاضرة فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل[1].

إن مهمة استخلاف آدم في الأرض كانت مادة حوارية غزيرة تمنح المزيد من التدقيق في لغة الخطاب التي وظفت في هذا الحوار، يقول – تعالى–: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿30﴾[2].

---

[1]) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص34

[2]) سورة البقرة: الآية 30

بدأ ربُّ العزة المشهد الحواريَّ بجملة خبرية مؤكدة بمؤكد (إنَّ) ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي قوما يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل[1]. وهذا الإخبار من الله – تعالى– هو أمر مفعول لا محالة، لأن الله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، ولكن هذا الإخبار الرباني إنما يحمل دلالة على أن القوة لا تعني تجاهل الآخر، بل لابد من سماعه، وأن القرارات لا بدَّ لها من التبرير، فإذا كان ربّ العزة برر استخلاف آدم في الأرض مع امتلاكه القوة على التنفيذ الجبري، وهنا نستظهر أن القرارات دائما تحتاج للتمهيد، والمشاركة، وسماع الآخر، وإنما سؤال الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ فإنَّ كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله – تعالى– كما يذكر الدرويش: "لا يخلو من أحد الوجوه الستة الآتية: (التوبيخ، أو التعجب، أو التسوية، أو الإيجاب، أو الأمر، أو التقرير). أما الاستفهام الصريح فلا يقع من الله – تعالى– في القرآن؛ لأن المستفهم متعلِّم ما ليس عنده والله – تعالى– عالم بالأشياء قبل كونها"[2].

وهو في سؤال الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ "خروج لمعناه الأصلي عن موضوعه"[3]، ويعني ذلك "أن تعجب الملائكة من أن يكون خليفة الله – تعالى– في أرضه عاصياً ومفسداً ومسفكاً الدماء، واستبعادهم من أنّ حكمة الله – تعالى–تقتضي ذلك"[4]، و"لا تعد همزة الاستفهام للإنكار بل يراد بها استكشاف عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة"[5]. والمقصد أن الملائكة أرادوا من الله – تعالى– أن يعلموا سبب

---

[1]) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة، (د.ت)، 216/1

[2]) الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر، 1992، 78/1

[3]) صافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن وصرف وبيانه، ط3، بيروت: دار الرشيد، 1995، 96/1

[4]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997، 129/1

[5]) الآلوسي، محمود شهاب الدين(ت 1270هـ)، روح المعاني، تحقيق: محمد أحمد الأحمد وعمر السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، 352/1

اختياره آدم –υ– ليكون خليفة، وكأنهم أرادوا أن يسألوه: لماذا تجعل فيها من يفسد؟ أي استفسار من الملائكة عن ذلك. و"الاستفهام، معناه: أتخلق هؤلاء العصاة مع بقائنا نحن على وظائف التسبيح والتقديس، أم تمكر بنا أيضا"[1]. وقد أورد ابن كثير في معنى الاستفهام في هذه الآية قوله: "وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك"[2].

وهنا يظهر من خلال هذا الحوار أن سؤال الملائكة لم يكن إنكارا، ولكنه طلبا للمعرفة، وفهم الحكمة من اختيار الله سبحانه وتعالى من استخلاف آدم في الأرض.

2.1.1 حوار خلق آدم(الله -I – مع إبليس):

يعدُّ حوار الله – تعالى– مع إبليس أنموذجا جاء به ربُّ العزة، ليكون منهجا حواريا نستقي منه العظات والعبرات، وفي هذا الأنموذج الحواري تتضح معالم الحوار مع الآخر، ولو كان عدوا مجاهرا في عدائه، فإبليس – لعنه الله– هو عدو الله، ومطرود من رحمته، وملعون إلى يوم الدين، لكن ربَّ العزة يتقبل حواره، ويستمع له، وفي ذلك درس لأبناء الأمة وفي كيفية التعامل مع الآخر، وأسلوب في فن التحاور، وفي قوله – تعالى–: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿11﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿12﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿13﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿14﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿15﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿16﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

---

[1]) السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 643هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: موسى مسعود وأشرف القصاص، ط1، القاهرة: دار النشر للجامعات، 2008، 63/1

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 216/1

﴿17﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿18﴾[1].

لقد بيَّن الله في حواره مع إبليس لبني آدم شرف أبيهم آدم، وبيَّن لهم عداوة عدوّهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم، ولما خلق الله آدم بيده من طين لازب، وصوَّره بشراً، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، تعظيماً لشأن الرَّبِّ تعالى جلاله، فسمعوا كلهم وأطاعوا، إلاَّ إبليس لم يكن من الساجدين[2].

وقال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ} ألاّ هاهنا زائدة، وقال بعضهم: زيدت لتأكيد الجحد[3]. وجاء الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ[4]. ولذلك يعدّ أول من أظهر الخلاف وركب العناد إبليس، وذلك باستخدامه القياس الإبليسيّ الباطل عندما قال الله .I : { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿71﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿72﴾ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿73﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿74﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿75﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿76﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴿77﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿78﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿79﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿80﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿81﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿82﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿83﴾ [5].

هذا المشهد الحواري الذي تشكَّلت فيه شخصية إبليس المتنامية الرافضة لأمر الله سبحانه وتعالى، فبدأ إبليس في رفض السجود لآدم والقصد من السجود سجود احترام لا سجود عبادة، ثم طُرد من السموات، ثم نزلت عليه لعنة الله، هذا المشهد الذي تكرَّر

---

[1]) سورة الأعراف: الآيات (11–18)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 391/3

[3]) المرجع نفسه، 392/3

[4]) الصابوني، صفوة التفاسير، 406/1

[5]) سورة ص، الآيات (71 – 83)

سابقاً في سورة الأعراف، هو نفس المشهد وبألفاظه المتقاربة لكن تصويره جاء من زاوية مختلفة، فأظهر جمالاً تصويرياً بديعاً.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴿73﴾ "كل" للإحاطة و"أجمعون" للاجتماع، فأفادا معاً أن الملائكة سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلاَّ سجد، وأنهم سجدوا في وقتٍ واحدٍ غير متفرقين في أوقات[1]. وسجود الملائكة لآدم هو سجود على وجه الكرامة لا على وجه العبادة[2]. فامتثل الملائكة كلُّهم ذلك سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً؛ كان من الجن فخانه طبعه، وجبلته أحوج ما كان إليه، فاستنكف عن السجود لآدم.

وفي قوله تعالى: { مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } تغليب لليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر بها الأعمال لأنَّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك على المجاز. وقيل قوله: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} أي: بغير واسطة، وهو بعيد[3]. وعملية الخلق خاصة بالله – تعالى–، وقد جاءت مادة خلق واشتقاقاتها في القرآن الكريم مائتين وإحدى وستين مرة([4])، للتأكيد على أنَّ عملية الخلق هي عملية خاصة بالله وحده دون غيره، فهي عملية لم يشاركه فيها أحد ولا يقدر عليها غيره.

والهمزة في قوله تعالى: {أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ} للاستفهام الإنكاري التوبيخي[5]. كان جواب إبليس أنه خير من آدم، فإنَّه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، وفي زعمه أنَّ النَّار خيرٌ من الطين، فخالف أمر ربِّه، وكفر، فأبعده الله وطرده

---

[1]) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 382/8

[2]) السخاوي، تفسير القرآن العظيم، 229/2

[3]) المرجع نفسه، 229/2

[4]) عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص241–244

[5]) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 382/8

عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه "إبليس"، إعلاماً له بأنَّه قد أبلس؛ أي يئس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض[1].

لمَّا طلب إبليس المهلة من ربِّ العزة إلى يوم البعث أمهله الله إلى اليوم المعلوم، فأقسم إبليس إلاَّ أن يغوي بني آدم { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿82﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿83﴾. وهنا نلحظ أن إبليس كان يعلم بقدرة الله سبحانه وتعالى ويعلم عزته، لذا أقسم بعزة رب العزة، ونجد استخدام التوكيد في الفعل (لأُغْوِيَنَّهُمْ)، فقد جاءت نون التوكيد الثقيلة، واللام، وهما هنا للتوكيد، إضافة إلى أن القسم بعزة الله توكيدا إضافيا، وتأتي لفظة أجمعين توكيدا معنويا، وهذا دليل إصرار إبليس على حربه مع ابن آدم. كما قال: { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا }[2]. وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}[3].

يظهر من خلال الحوارات السابقة أنموذج للعصيان المطلق، والاستكبار، والحقد من إبليس لعنه الله، لأنه رأى أنه خلقه الله من نار سموم، فلم يحجم عن عصيان أمر ربّه بالسجود لآدم؛ وتبجح معلناً رأيه: { قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }[4]. {قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[5]غافلاً عن ذلك العنصر الكريم الزائد على الطين في آدم{إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}[6] أعماه الحسد لهذا المخلوق، ثم ما لبث هذا الحسد أن تحوَّل إلى حقدٍ طاغٍ، حين أُخرِج من الجنة مطروداً من رحمة ربِّه؛ إذ رأى آدم هو السبب في كل هذا؛ فأعماه حقده مرة أخرى عن التوبة والاستغفار، وقد أُنظِر إلى يوم البعث، فعقد العزم على الانتقام من آدم وذريته، وتبجح

---

[1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 82/7

[2]) سورة الإسراء: الآية 62

[3]) سورة الإسراء: الآية 62

[4]) سورة الحجر: الآية 33

[5]) سورة الإسراء: الآية 61

[6]) سورة الحجر: الآية 29

أمام ربّه مجدداً، مقسماً ليغوين ذلك المخلوق الذي كرَّمه الله، ولا يترك في سبيل ذلك طريقاً إلاَّ سلكه، ولا جهداً إلاَّ بذله([1]).

وثمة حوار بين الله – تعالى – وملائكته في مشهد يوم القيامة، والذي يظهر الملائكة والمشركين الذين اتخذوا الملائكة أندادا من غير الله، وهو أحد المشاهد التي تظهر في القرآن الكريم مبينة أجواء يوم القيامة وأهواله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿40﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿41﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴿42﴾([2]).

يخبر الله – تعالى– أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم ؟ وهكذا تقول الملائكة: ﴿ سُبْحَانَكَ﴾ أي: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء،﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعنون: الشياطين; لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم ،﴿ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم، اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، الذين ظلموا هم المشركون، أي: يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا([3]).

يظهر من خلال الحوار السابق أنه حوار للرد على المشركين الذين كانوا يتخذون الملائكة أندادا من دون الله، وقد كان الحوار مرتكزا على السؤال الإنكاري، الذي وجهه الله – تعالى – لملائكته، ونلحظ من خلال الحوار أن المشركين كانوا حاضرين في المشهد ومغيبين عن الحوار، فالسؤال للملائكة، وكأن الله –عزَّ وجلَّ–

---

[1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 85/7

[2]) سورة سبأ: الآيات (40–43)

[3]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 524/6

أراد أن يبين لأولئك المشركين ضعف من كانوا يعبدون، ويأتي الإثبات من الملائكة أنفسهم لأولئك المشركين بأنهم على الباطل بأنهم نزَّهوا الله وقدَّسوه ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾.

2.1 حوار الله – تعالى– مع أنبيائه ورسله

اصطفى الله من عباده أنبياء ورسلا يحملون رسالة ربهم، ويدعون البشرية إلى الوحدانية، فحاورهم الله في غير أمر، لذا بحثت هذه الدراسة في الحوارات التي جرت بين الله – تعالى– وأنبيائه، وقد حملت تلك المحاورات دروسا وعبرا، كان لا بد من النظر فيها وتحليلها ودراستها، لنستقي منها ما يفيد وينفع. وقد جاءت تلك المحاورات مرتبة بناء على المُحاور من الأنبياء والرسل اعتمادا على الترتيب الزمني لابتعاثهم.

1.2.1 حوار الله – تعالى– مع آدم – عليه السلام–

جاء حوار الله مع آدم – عليه السلام– أولا، وتمثل ذلك الحوار بنهى الله – تعالى– آدم وزوجته حواء عن أكل ثمار شجرة من أشجار الجنة، فأغواهما الشيطان بالأكل منها، فأخطآ فأكلا منها، ثم تابا وطلبا من الله المغفرة فغفر الله لهما ذنبهما، وورد حوار الله مع آدم –عليه السلام– وحواء في المشهد القرآني الذي حمل تلك القصة، وتكررت في ثلاث سور قرآنية، فجاءت في سورة البقرة في قوله – تعالى–: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿35﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿36﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿37﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿38﴾([1]).

يقول تعالى مخبرا عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حتى أهبطهم من الجنة، والمراد الذرية: أنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل([2])، وما يدور في الآيات

---

[1]) سورة البقرة: الآيات(35–38)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 240/1

السابقة من حوار يبدؤه ربُّ العزة بقوله {**وَقُلْنَا**}، والفعل هنا يحمل مشهدا حواريا، وضمير الجماعة في الفعل للتعظيم، فهناك قائل (ربُّ العزَّة) وهناك سامعان (آدم وزوجته)، وكان الحوار أمرا من الله – سبحانه وتعالى– إلى عبديه بالسكن في الجنة مع شرط ربَّاني بألاَّ يأكلا من تلك الشجرة، ولكن وسوسات الشيطان كانت حاضرة، فأزلهما عن أمر ربهما، فوقعا في الإثم وأكلا، فكان الأمر الرباني الثاني نتيجة لعملهما، وهو الخروج من الجنة، فكان الشيطان ثالثهما طردا من الجنة، فامتثل آدم لأمر ربه، وطلب التوبة فتاب عليه ربه من ذنبه([1]).

وقد أورد الله – تعالى– هذه القصة أيضا في سورة طه: { فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿117﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿118﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿119﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿120﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿121﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿122﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿123﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿124﴾([2]).

وجاء الحوار مفصلا بين الله – تعالى– وبين آدم وحواء في سورة الأعراف بقوله – تعالى–: { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿19﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿20﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿21﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿22﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿23﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿24﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

---

[1]) المرجع نفسه، 241/1

[2]) سورة طه: الآيات (118–124)

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿25﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿26﴾ ([1]).

تتداخل الحوارات في هذه الآيات بين حوار رباني مع آدم، وبين الشيطان وآدم، وبين آدم وربه، إذ إن طلب السكن في الجنة كان موجها من الله – تعالى– إلى آدم، وكان ذلك السكن مشروطا بتنفيذ أمره – عزَّ وجلَّ– بالابتعاد عن تلك الشجرة تحديدا، وبعد هذا الأمر الربَّاني يأتي حوار الشيطان (وسوسة)، وهو غير مسموع، كان هذا الحوار من الشيطان إلى آدم وحواء على السواء { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ}، وهنا نجد الضمير (لهما) أي: آدم وحواء، وقد استخدم الحوار هنا تغريرا من الشيطان لآدم وزوجته، واستطاع مستخدما الأسلوب الإقناعي في الحوار أن يزلهما عن أمر ربهما، ولما وقعا في ذلك وأكلا، عاد الحوار الربَّاني معاتبا آدم وزوجته على فعلتهما، ولكن شرطا وجب التنفيذ، فكانا يعرفان أنهما قد خالفا أمر ربهما، لذلك جاء الحوار من العبد لربه متشفعا، وبدأ الحوار بالاعتراف بالذنب {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، ثم جاء التنفيذ بالأمر الإلهي {قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}، وهنا دلالة على أن الحكم كان على الجميع، آدم وزوجته والشيطان.

2.2.1 حوار الله – تعالى– مع نوح – عليه السلام–

كما قيل سابقا إن القرآن الكريم اتَّخذ القصة وسيلة اقناعية، ووسيلة إخبارية للأقوام السالفة، ومن المعلوم أن القصة تعتمد اعتمادا رئيسا على تقنية الحوار، لذا فقد ورد في القرآن الكريم قصص الأنبياء – عليهم السلام–، فكان الحوار ملازما لتلك القصص، وكان نوح – عليه السلام– واحدا من أنبياء الله – عليهم السلام–، الذين استحضرهم القرآن الكريم في قصصه، بل نستطيع القول إن قصة نبي الله نوح قد اتخذت مكانة بارزة في القصص القرآني، بل إن سورة مخصصة جاءت باسمه، وأخذ الحوار بين الله – عزَّ وجلَّ– ونبيه الكريم نوح – عليه السلام– أكثر آيات سورة نوح،

[1]) سورة الأعراف: الآيات(19–26)

"ذلك أن هذه السورة التي خصصت لقصته – عليه السلام– وقومه، اختصر فيها جهد وعناء تسعمائة وخمسين عاماً، ومن الإعجاز أن عدد حروفها (950) تسعمائة وخمسون حرفا عدد السنين التي قضاها معهم وهاديا ومرشدا، وقلَّما من آمن منهم برسالته، وكأنَّها الوقفة الأخيرة لنبي الله نوح – عليه السلام– وهو يعرض على ربِّه – تعالى–، حسابه الأخير وخلاصة دعوته وحصيلة عمله طوال تلك السنين"[1].

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح – عليه السلام– عن حال ولده ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدت إنجاءهم؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك؛ فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحا – عليه السلام–. وقد نص غير واحد من الأئمة بأن هذا الولد كان ابن زوجته وليس ابنه، ومنهم من قال بأنه ابنه ولكنه خالفه في العمل والنية([2]).

لما غرق القوم الضالون عن دعوة نوح – عليه السلام– جرى الحوار بين نوح –عليه السلام– وربِّه، فكان الاستعلام عن مصير ابنه بصيغة السؤال، وهذا دلالة على أدب الحوار مع الله – سبحانه وتعالى–، ودلالة الاستعلام تأتي في قوله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ وهنا إشارة إلى وعد الله سبحانه وتعالى المسبق بأن ينجي أهل نوح –عليه السلام–([3])، فيأتي الجواب من ربِّ العزَّة موضحا وعده السابق بأنه خصص لأهله المؤمنين، وقد أخرج الله – سبحانه وتعالى– ابنه من أهله بسبب كفره ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، ثم يعود ربُّ العزة ليذكر نوحا – عليه السلام– بأنه – سبحانه– أعلم بكل شيء، وتأتي العبرة والعظة في قوله ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، فالمعرفة أصل السؤال، فلا يسأل الإنسان عن أمر إلا بمعرفة وعلم، لذلك جاء قول الحق ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فهناك بعض الأمور

---

[1]) قطب، في ظلال القرآن، 706/6

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 325/4–326

[3]) الشوكاني، فتح القدير، 307/5

يجهلها الإنسان، ومن الخطأ السؤال عنها، لأن الله – سبحانه وتعالى– أعرف بما يفعل؛ ولأن نوحا كان يؤمن بقدرة الله ومعرفته وعلمه، فقد طلب المغفرة عن سؤاله، وهنا إشارة إلى أدب الحوار مع الله – سبحانه وتعالى–.

ونخلص من خلال هذا المشهد الحواري بين ربِّ العزة ونوح – عليه السلام– بكثير من العظات والعبر التي جاء بها الحوار القرآني، وأولى العظات استيعاب الآخر في الحوار وتقبله حتى لو امتلك المحاور القوة والغلبة، فإنَّ الله – تعالى– كان يمتلك – وهو صاحب الملك – أن يأمر فيطاع، ولكنه – سبحانه وتعالى– أراد أن يرسم لنا منهجا ننتهجه في الحوار، ليتقبل كلٌّ منَّا الآخر، دون النظر إلى المكانة والسلطة، وثاني العظات أدب المحاور مع من يحاوره، فذلك نوح يعطي درسا في تقبُّل أمر ربِّه بكل تأدب وطاعة.

3.2.1 حوار إبراهيم .ט. مع خالقه سبحانه

سأل إبراهيم . ט. ربَّه –I – أن يريه كيفية إحياء الموتى، والخليل – عليه السلام– لم يسأل ذلك شكًا، أو تعنتًا، وإنما سأله ليترقى بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة بعد أن رآه إيمانًا ويقينًا. فسأله الله – تعالى– ﴿ **قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن**﴾، فأجابه بالإيجاب، وبيّن إبراهيم – عليه السلام– سبب السؤال، وهو: ليزداد سكونًا وطمأنينة"[1].

قال ربُّ العزة : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿260﴾[2].

ولقد استجاب الله – سبحانه وتعالى– لهذا الطلب والتطلع في قلب إبراهيم – عليه السلام–، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، وأن يذبحهن ويمزق

---

[1]) حوّى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، 611/1

[2]) سورة البقرة: الآية260

أجسادهن ويخلط لحومهن معاً، ويستبقي رؤوسهن بيديه، ويفرّق أجزاءهن على الجبال المحيطة، فلما دعاهن بأمر الله عدن إليه عظما ولحما وريشا، وكل طائر إلى رأسه بيدي إبراهيم –عليه السلام–، وكانت الطيور (طاووسا وحمامة وغرابا وديكا [1]. وأراد بذلك أن يتحقق نظره في الطيور، حتى إذا فرَّق لحمها على الجبال أحياها الله – سبحانه وتعالى– وجاءت تسعى، ولا يرتاب أنها هي، ولا يظن أنها طيور غيرها التبست؛ لأنَّه قد شاهدها من قبل، ولذلك قال: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ولم يصفها بالطيران؛ لئلاَّ يظن أنَّها طيور أُخَر جاءت من الجو [2].

لقد حرص إبراهيم –υ – على الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، فقوله ﴿أَرِنِي كَيْفَ﴾ يدل على طلب مشاهدة الكيفية، وليس اختبار القدرة الإلهية على الإحياء أو الإنشاء في هذا الحوار دليل واضح على ولاية الله – I – للمؤمنين، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور، ويفتح بابه أمامهم لكي يسألوا عما يريدون السؤال عنه، ويتقبل مطالبهم بحلم عظيم، وفضل كبير [3]. وقد أورد الصابوني في سؤال إبراهيم –υ–﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ بأنه ليس عن شك في قدرة الله – تعالى– ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ويدل عليه وروده بصيغة (كَيْفَ) وموضوعها السؤال عن الحال ويؤيد المعنى قول النبي –υ–: "نحن أحق بالشك من إبراهيم"، ومعناه: ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى [4].

وبهذا الموقف أظهر الخالق العظيم لإبراهيم نبيه ربوبيته وملكه للسماوات والأرض وما فيهن، وأن الكلَّ مقهور تحت ملكوته مفتقر إليه –I– في جميع أحواله، وكونه من الراسخين في المعرفة الواصلين إلى ذروة عين اليقين مما يقتضي بأن يحكم باستحالة ألوهية ما سواه –I– من الأصنام والكواكب التي كان يعبدها قومه، وبيانا لكيفية استدلاله –υ– ووصوله إلى رتبة الإيقان [5].

---

[1]) قطب، في ظلال القرآن، 302/1

[2]) السخاوي، تفسير القرآن العظيم، 124/1

[3]) طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، القاهرة: دار النهضة، 1996، ص133

[4]) الصابوني، صفوة التفاسير، 151/1

[5]) الألوسي، روح المعاني، 249/14

وجاءت الهمزة في قوله –I–: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ للاستفهام التقريري؛ لأنَّ الاستفهام إنَّما هو عن أمر متقرر الوجود عند السائل والمسؤول على السواء. و(قال بلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان، وأتى بـ(بلى) التي هي حرف جواب لتثبيت الإيمان المنفي، ولو كان الجواب بنعم لكان كفراً[1]. وهذا يعني أنَّ إبراهيم لو قال (نعم) لكان تقدير الكلام نعم لم يؤمن، وبذلك يكون الكفر، ومن الواجب في أحرف الجواب إن كان السؤال منفياً أن يكون الجواب ببلى أو كلا.

ونجد في هذا الحوار إيجازاً بالحذف، وقد حذف تتمة الحوار، إذ حكى –I– أوامره، ولم يتعرض لامتثال إبراهيم –υ– لها، لأنَّ ذلك مدرك بالبداهة[2].

4.2.1 حوار الله –I– مع موسى –υ–

أما حواره –I– مع موسى فتواردت قصة موسى –υ– في سور كثيرة من القرآن؛ إذ وردت في حوالي الثلاثين موضعًا، وفي كل مرة يتجدد. وجاء حواره –I– مع موسى –υ– عندما طلب من ربّه مُلحًّاً: أن يأذن له برؤيته –I– لأجل أن يزداد يقيناً، وليحاجَّ بما رأى قومه الذين قالوا له ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[3].

حاور الله – تعالى– نبيه موسى – عليه السلام– ليثبته، ويزيده يقينا وذلك في قوله –I–: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿143﴾[4].

هذا الحوار الذي يبدؤه موسى –υ– بذلك الأدب النبوي مع الله ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، ومن ذلك نستحضر أدب الحوار، وانتقاء المفردات في الخطاب، فيظهر الرجاء من موسى – عليه السلام– والتلطف. وجاء جواب رب العزة بالرفض ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾، هذا الرفض لم يكن لمجرد الرفض، ولكن رب العزة أراد أن يبين لموسى سبب

---

[1]) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 402/1

[2]) المرجع نفسه، 403/1

[3]) سورة النساء: الآية 153

[4]) سورة الأعراف: آية 143

رفضه ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، فظهور رب العزة للجبل جعله دكاً، فكيف بموسى إذا نظر إليه؟! لذا يتبين أن موسى .υ. تفهم رفض رب العزة رؤية موسى له، لذلك جاءت الصورة واضحة فعلاً لا قولاً﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾، لقد أغشي على موسى من هول ما رأى، فلما أفاق كان مستوعبا لما حدث ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

يقول الله – تعالى-:﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿144﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿145﴾﴾[2].

يذكر تعالى أنه خاطب موسى –υ– بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى، ولا شك أن محمداً سَيِّدُ وُلْدِ آدم من الأولين والآخرين؛ ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي يستمرُّ شريعته إلى قيام الساعة، وأتباعه من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم موسى بن عمران كليم الرحمن؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾؛ أي: من الكلام والوحي والمناجاة ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: على ذلك، ولا تطلب ما لا طاقة لك به. ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء، قيل: كانت الألواح من جوهر، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال والحرام[3].

5.2.1 حوار الله – تعالى – مع زكريا .υ.

إن حوار الله سبحانه وتعالى مع نبيه زكريا كان على هيئة مناجاة ودعاء، فكان الحوار دعاء من زكريا لرب العزة أن ينفذ له طلبا، وكانت نتيجة هذا الدعاء أن منَّ الله على زكريا بما طلب، وهذا المشهد الذي اختلى فيه زكريا مع ربه متضرعا له مستجديا

---

1) سورة الأعراف: آية 143

2) سورة الأعراف: الآيتان (144–145)

3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 474/3

تبين من خلال النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿2﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿3﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿4﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿5﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿6﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿7﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿8﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿9﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿10﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿11﴾([1]).

يبدأ الحوار في هذه الآيات بنداء زكريا ربه: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، قال بعض المفسرين: إنما أخفى دعاءه، لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره. وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله"([2]). وهذا الحوار الذي تحمله هذه الآيات يتشكل من عرض زكريا –υ– لحاجته وطلبه، ورد رب العزة عليه، فهو طلب وعطاء. ونلحظ من خلال الآيات السابقة أن طلب الحاجة له آداب وأساليب، وذلك واضح من خلال حديث نبي الله زكريا عليه السلام، فهو كبير السن وامرأته لا تنجب ومع ذلك فهو يدعو الله أن يرزقه الولد ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿4﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿5﴾، ويبين سبب طلبه لتكتمل صورة المحتاج الذي يفند احتياجاته، وهنا يتبين آداب الدعاء مع الله، وفيه درس حتى في طلب الناس بعضهم، فمن أراد حاجة من مسؤول فند حاجته وبين ظرفه وذكر سبب الطلب. و"جوامع الاستجابة لدعاء زكريا – عليه السلام–؛ إذ لم يكتف زكريا بتوضيح الحال التي هو عليها من الضعف والعجز، بل ذهب إلى الحديث عن كرم الله سبحانه وتعالى الذي يفيض به على عباده، والذي ألفه زكريا وتعوده، ووجه التوسل بهذه الفقرة من الدعاء يمكن النظر إليه من وجوه عدة؛ أحدها إنه – عليه السلام– إنما قرن حاجته بأمرين؛ الأول: ضعفه عن ذلك، والثاني:

---

[1]) سورة مريم، الآيات (2–11)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 211/5

ثناؤه على الله سبحانه وتعالى ومدحه إياه بأنه لم يرد له يوماً طلباً، وإنه سبحانه عوده الاستجابة إذا دعاه، وفي هذا ما فيه من حسن التحايل والتلطف في الطلب"([1])

ويأتي جواب رب العزة لنبيه ملبيا بحرف النداء للبعيد ربما للاستجابة على صعوبة موقف النبي زكريا وزوجه العاقر: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴿7﴾، وهي بشارة عظيمة، وتأتي عظمتها من قول زكريا – عليه السلام– التي بين فيها صعوبة الطلب بالنسبة له، فهو كبير السن وامرأته لا تنجب، فكانت البشارة بتلبية النداء، ولأن الله كان يعلم حاجة زكريا – عليه السلام– للغلام الذي طلبه، وكان الطلب مكتملا فوهبه الله غلاما ذكرا وأسماه يحيى، وكان استغراب زكريا من البشارة نابع من الدهشة والمفاجأة، فهو لا يتساءل نكرانا ولا تشكيكا([2])، ولكن الله سبحانه وتعالى يهدئ من روعة: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ لم يكتفِ ربُّ العزة بمخاطبته زكريا أن هذا الأمر سهل على الله، فأراد أن يثبت له ذلك فذكره بخلقه هو﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴿٩﴾.

---

[1]) عبد، عقيل عكموش، الدلالة النفسية في سورة مريم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد6، العددان(3–4)، 2007، ص77

[2])المرجع نفسه، ص80

6.2.1 حواره تعالى مع عيسى –υ–

يمكن لهذا الحوار أن يندرج تحت نوعين من الحوار، حوار جرى بين الله – سبحانه وتعالى– وعيسى – عليه السلام– في مشهد من مشاهد يوم القيامة، وحوار جرى بين الله – سبحانه وتعالى– وعيسى – عليه السلام– في الدنيا، ويمكن تناول هذين النوعين كما يلي:

أ. حواره تعالى مع عيسى – عليه السلام– يوم القيامة

جاء المشهدُ الحواريُّ بين رب العزة وعيسى –υ– بعد سردٍ مطول لقصته –υ– مع الحواريين، وما أورده تعالى من أمر المائدة التي طلبوا تنزيلها عليهم من السماء، وإجابة الله طلبهم، فجاء الحوار توضيحا لما كان من أمر النصارى، وما أحدثوه من انحراف عن الحق، وأنهم ادعوا على عيسى –υ– ما لم يقله، وقد ورد هذا المشهد الحواري من خلال عرض لمشهد من مشاهد يوم القيامة، يقول – تعالى–: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّـهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴿116﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿117﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿118﴾[1].

يظهر هذا المشد الحواري الربَّاني صوراً من صور يوم القيامة، التي تستحضرها هذه الآيات، وفيها يظهر المشهد بمناداة ربِّ العزة عيسى – عليه السلام– باسمه، وهو أسلوب يعكس صورة من العطف، ويزخر بجو من المحبة، فيخاطب الله تعالى عبده ورسوله عيسى ابن مريم –υ– قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد[2]. ونلحظ أن الله

---

[1]) سورة المائدة: الآيات (116 – 118)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 232/3

نسب عيسى إلى مريم ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ وهذا نفي مسبق لما قاله النصارى من أن عيسى ابن الله، أو أنَّه وأمه إلهان.

ويأتي جواب عيسى –υ– بتلطّف وتأدّب مع ربّه ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ يقول ابن كثير: " هذا توفيق للتأدّب في الجواب الكامل"[1]، وبدأ عيسى –υ– بتنزيه ربّ العزة ﴿سُبْحَانَكَ﴾.

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾، فعيسى – عليه السلام– يعلم قدرة الله على العلم والمعرفة، فإن كان صدر من عيسى –υ– ذلك فقد علمه الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يخفى عليه شيء مما قاله ولا أراده في نفسه ولا أضمره، ولذلك قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾. لمَّا نفى عيسى –υ– ذلك القول عن نفسه، أثبت ما قاله لهم: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، يظهر من خلال هذه الجواب الذي جاء على لسان عيسى –υ– أن الحوار يتطلب حجة في النفي وحجة في الإثبات، فأحياناً لا يكفي النفي دون إيراد الإثبات، فلم يكتفِ عيسى عليه السلام بنفي القول عن نفسه بل جاء بما قاله، ذلك الذي لا يخرج عن رسالته –υ– وما أمره الله تعالى به، ولم يترك عيسى –υ–غموضا في حواره، فحدد ما أمره الله به، وهو عبادة الله.

ب. حوار الله – تعالى مع عيسى في الدنيا

لقد جاءت آيات كتاب الله – عزَّ وجلَّ مُجملة ما كان من نهاية عيسى – عليه السلام–، وملخصة الأحداث الأخيرة من حياته بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿55﴾(2). اختلف المفسرون في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: إني رافعك إليَّ ومتوفيك، يعني بعد ذلك. وقال ابن

---

[1]) المرجع نفسه، 233/3

[2]) سورة آل عمران: الآية55

بشر: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه، ثم رفعه. وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم([1])

وهنا حوار الله – تعالى– مع نبيه عيسى – عليه السلام–، ويظهر الحوار في هذه الآية إخبارا من الله – تعالى– لعيسى عن نهايته التي اختارها الله – تعالى– له، وفي هذا الحوار إثبات للنهاية التي آلت إليها حياة عيسى – عليه السلام–، وكان الحوار من مخبر هو الله – سبحانه–، ومنصت لكلام ربّه، وهو عيسى ابن مريم – عليه السلام–. وقد جاء هذا الحوار داحضاً لتلك الأقاويل التي سيقت في نهاية نبي الله عيسى ابن مريم – عليه السلام–، فأثبت القرآن بالقول القاطع رفع عيسى إلى الله – سبحانه وتعالى–، فلم يمت ولم يصلب، وإنما رفع إلى خالقه عزَّ وجلَّ.

ويبدو من خلال هذه الآيات اختفاء صورة عيسى ابن مريم من المشهد الحواري السابق، وإظهاره منصتا لا يحاور ولا يسأل، إنما كان امتثالا من عيسى – عليه السلام– لأمر ربه، وعلمه اليقيني بأن أمر الله – تعالى– نافذ لا محالة.

وثمة حوارات أخرى بين الله والأنبياء، كانت بوساطة الملائكة، نحو زكريا – عليه السلام– التي نادت الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾([2])، هذا الحوار بين الملائكة وهم ينقلون أمر الله – سبحانه– لنبي الله زكريا – عليه السلام– إنما يمثل حوار الله مع أنبيائه، ولكن الحوار منقول بوساطة ملائكته.

وحوار إبراهيم عليه السلام والملائكة تبشره بولد بقوله – تعالى–: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿24﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴿28﴾([3])، يظهر هذا

---

[1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/46–47

[2]) سورة آل عمران: الآية39

[3]) سورة الذاريات: الآيات(24–28)

المشهد الحوار الذي نقل فيه الملائكة البشارة لإبراهيم – عليه السلام– من ربه، فهم حاملو بشارة الولد له.

كانت تلك حوارات الله – عزَّ وجلَّ– مع أنبيائه –عليهم السلام–، ولا يمكن القول هنا أن الحوارات في هذا المضمون قد درست جميعها، ولكنها كانت محاولة لإبراز الدلالات الجمالية في بعضها، وما ورد يعد تمثيلا للحوارات الأخرى، التي لم تغفل عنها هذه الدراسة، ولكن تناولها يحتاج لسرد مطول يحتاج لدراسة منفردة للحوارات الربانية مع أنبياء الله. فاكتفت الدراسة بعرض نماذج من تلك الحوارات التي سيقت من خلال القصص القرآني لأنبياء الله – تعالى–.

الفصل الثاني
حوار الأنبياء مع أقوامهم

1.2 حوار الأنبياء مع أقوامهم

إنَّ من أبرز محاور الحوار التي تحدّث عنها القرآن الكريم وفصل في ذكرها، إيجازاً وإطناباً إجمالاً وتفصيلاً في العديد من سوره، هو ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من حوار ومناقشات في مواضيع تتعلق بالعقيدة تصحيحا وترسيخا، ونشرا لها بعد ذلك، لأنّه لا يمكن إرجاع الناس إلى جادة الصواب، وعبادة الله، ونبذ الشرك عنه إلا بالتنبيه والإقناع اللذين يقتضيان الحوار[1].

إن الحوار الذي اتّخذه الأنبياء – عليهم السلام– مع أقوامهم إقناعا لهم فيما حملوه من رسالة ربانية كان ذا مجال رحب في القرآن الكريم، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن قصص الأنبياء في القرآن الكريم قد كثرت، وتكررت في غير سورة من القرآن الكريم، والحوار يعد ركنا رئيسا من أركان القصة، ثم إن الدعوة لأمر جديد لم يعتده الأقوام يحتاج لأسلوب إقناعي يعتمد على الحوار، والإجابة عن التساؤلات والدعوة له بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، كل ذلك كان يحتاج لتصوير المشاهد الحوارية بين أنبياء الله وأقوامهم، لتشكل تلك المشاهد العبر والعظات.

وقد تتبعت الدراسة حوارات بعض الأنبياء مع أقوامهم معتمدة على الترتيب الزمني للأنبياء من حيث ابتعاثهم لأقوامهم، وقد كانت المشاهد الحوارية التي صورت حوارات نوح – عليه السلام– مع قومه هي بداية عرض تلك المشاهد الحوارية، ثم حوار هود، ثم حوار صالح، ثم حوار لوط، ثم حوار شعيب، ثم حوار موسى عليهم سلام الله جميعا.

---

[1]) يعقوبي، محمود، المنطق الفطري في القرآن الكريم، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000، ص5

1.1.2 حوار نوح –ט– مع قومه

امتدت دعوة نوح –ט– في قومه ألف سنة إلا خمسين، فحملت تلك الفترة الطويلة من الدعوة حوارات متعددة ومتنوعة بين نبي الله نوح وقومه، وهو يحاول إقناعهم بصدق رسالته ونبوته، فتارة يلجأ إلى الترغيب وأخرى إلى الترهيب، ويعرج على الإقناع بالبرهان داعيا القوم إلى الإيمان بالله وحده، فتلك هي رسالته، كما هي رسالة الأنبياء جميعا([1]).

كانت الدعوة إلى عبادة الله مرتكز حوارات نوح –ט– مع قومه، وهذا حال حوارات الأنبياء مع قومهم، وهذا ما يبينه قوله .I: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿59﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿60﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿61﴾[(2)]. بدأ حوار نوح –ט– مع قومه بالدعوة لعبادة الله وحده، وقد اتخذ الحوار في هذه الآيات الترهيب وسيلة دعوية، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تظهر هذه الآية ارتباط نوح –ט– بقومه، وحبه لهم، فلم يكن الترهيب مجردا بل أظهره الحوار على أنه من باب التذكير بالعذاب، فنوح يخاف على قومه من ذلك العذاب، وهذا يظهر أسلوبا راقيا من أساليب الدعوة، فهو الترهيب بأسلوب التحبب، وهذا الأسلوب يظهر ثانية في قوله .I: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿25﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّـهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿26﴾[(3)]. واليوم الأليم هنا هو اليوم العظيم في الآيات السابقة، وهو يوم القيامة، فالمعنى في هذه الآية والآيات السابقة هو واحد، فالدعوة إلى الله بوسيلة الترهيب من هول يوم القيامة ولكنه بأسلوب التلطف وإظهار المحبة، فخوفه على القوم ظاهر في الآيتين، إن حوار نوح –ט– ارتكز على الدعوة إلى وحدانية الله:﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾. لذا فإنَّ دعوة نوح .ט لعبادة الله كانت مبينة في الأسباب، وهذا دليل على

---

[1]) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، دار القلم، 1998، 167/1

[2]) سورة الأعراف: الآيات (59–61)

3) سورة هود: الآيات (25–26).

احترام العقل، وبيان الأسباب في الإقناع، فبين نوح .υ- في حواره أسباب دعوته الإيمانيَّة، فجاء بسببين واضحين هما: أنَّ الله هو الإله الحق الواحد الأحد. وأنَّ لديه عذاباً أليماً لمن خالف هذه العبادة وابتعد عنها. وهنا يتَّضح أن الأسلوب الدعويّ يعتمد على ركائز أساسيَّة منها: أن يتبع أسلوب الترغيب تارةً والترهيب أخرى، وأن يعتمد أسلوب الإقناع في دعوته، والصدق في القول، فكان نوح صادقاً في حواره مع قومه فلم يدَّعِ الملك، ولا امتلاك المال، وظهر ذلك جلياً في قوله .I- على لسانه .υ-: ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، هذا النَّص الحواريّ يرتبط فيما ورد في سورة الأعراف، بأنَّ العبادة متجرِّدة لله؛ لأنَّه لا إله غيره، فأزال نوح .υ- عن العبادة الطمع المادي (وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ) ولم يزل .υ- عن نفسه صفة البشريَّة (وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)، ونفى عن نفسه معرفة أسرار العباد(وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ).

وقد لجأ نوح .υ- إلى حثِّ قومه على التفكير بطرح الأسئلة، وهو الأسلوب المبني على الإقناع بالبرهان، فقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2]. أرأيتم معناها: أخبروني، والاستفهام للاستنكار[3].

وعند استقراء قوله .I- في سورة الأعراف:﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[4]، وقوله: ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾[5] يتَّضح المجاز المرسل، فقد جعل الضلال ظرفاً والضلال ليس ظرفاً يحل فيه الإنسان؛ لأنَّه معنى من المعاني، وإنما يحلّ في مكانه فاستعمال الضلال في مكانه مجاز مرسل؛ أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحاليَّة،

---

1) سورة هود: الآية 31.

2) سورة هود: الآية 28

3) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، 221/4.

4) سورة الأعراف: الآية 60

5) سورة الأعراف: الآية61

وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه، حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها. وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدروا الجملة بأنَّ، وزادوا اللام في خبرها[1].

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[2] . ويظهر في الآية الأولى أنها تكونت من ثلاث جمل تتابعت: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، ثم عطفت بالفاء جملة﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ لإفادة التعقيب ثم فرع بجملة إنشائية بنيت على استفهام في شيء من المعاتبة والتوبيخ والإنكار، بمعنى ما كان ينبغي أن تدعوا أمر التقوى. وقد دخلت همزة الاستفهام على الفاء العاطفة﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾، وهذا يعني أن ثمة كلاماً محذوفاً. "والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام؛ أي تعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله تعالى إياه فضلاً عن استحقاقه العبادة"[3].

وإن موافقة الجملة التمهيديَّة وما ترتَّب عليها بما في سورة الأعراف مع اختلاف هائل في التعقيب حيث كان مبنى جملة التعقيب في الأعراف على التوكيد والاستئناف ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4]؛ ليؤكِّد حرصه عليهم، وأنَّه يعلم من أمر الإنكار ما لا يعلمون، فوراء الإنكار، ورفض عبادة الله وحده الذي ليس لكم إله غيره عذاب عظيم، ومثلها في البناء تعقيب سورة هود في دعوة نوح .υ: ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[5]، فوراء عدم الاستجابة والانقياد لله وحده عذاب أليم وهو المشار إليه في سورة "المؤمنون" التي نزلت بعد هود، فقد قال أولاً عذاب يوم عظيم في الأعراف، ثم قال عذاب يوم أليم في هود، ثم قال ثالثاً أفلا تتقون، أعني هذا العذاب الأليم الذي

---

[1]) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 376/3

[2]) سورة المؤمنون: الآية 23

[3]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 57/4

[4]) سورة الأعراف: الآية 59

5) سورة هود: الآية 26.

ذكرتم به"[1]. وجاء حوار نوح –υ– مع قومه في سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿105﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿106﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿107﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿108﴾[2].

فقد اختلف أسلوب حوار نوح مع قومه في سورة الشعراء مقارنة عمَّا ورد في سورتي الأعراف وهود، فقد بدأ الحوار بالنتيجة، وهي تكذيب القوم نوحا([3]) –υ– ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، فلم تبدأ القصة هنا بحوار نوح، بل بدأت بالنتيجة والإعلام بالموقف الأخير للقوم وهو التكذيب، والكفر. وبدأ كلامه بما ختم به كلامه في سورة "المؤمنون" ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[4]، وهنا أول كلامه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾. ومن خلال استقراء قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ يتبادر إلى الأذهان سؤال، هل أرسل إلى قوم نوح رسل غيره؟. ورد في ذلك قولان أولهما: أنهم، وإن كذبوا نوحًا، لكنَّ تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأنَّ طريقة معرفة الرسل لا تختلف؛ فمن حيث المعنى حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين. وثانيهما: إن قوم نوح كذَّبوا بجميع رسل الله تعالى الذين أرسلهم إليهم[5].

والذي يظهر أن القول الأول هو الأظهر؛ والله اعلم، ذلك أن قوله:﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ مجاز مرسل، من قبل إطلاق الكل وإرادة البعض، فإنه أراد بالمرسلين نوحًا، وذكره لصيغة الجمع تعظيم له، وتنبيه على أن من كذب رسولا فقد كذَّب جميع المرسلين[6]، وهذا مقطوع به، لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق، فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة، وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ

---

[1]) محمد، عبدالصمد عبدالله، خطاب الأنبياء في القرآن الكريم: خصائصه التركيبية وصوره البيانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1995، ص12

[2]) سورة الشعراء: الآيات (105–110)

[3]) محمد، عبدالصمد عبدالله، خطاب الأنبياء في القرآن الكريم، ص38

[4]) سورة المؤمنون: الآية 23

[5]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، 120/3.

[6]) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1997، 183/19

أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1]؛ لأن التفرقة بينهم توجب تكذيبهم كلّهم، وتصديق واحد يوجب تصديقهم كلهم[2].

يقول سيّد قطب: " وقوم نوح لم يكذبوا نوحاً. ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين، والقرآن يؤكد هذا المعنى، ويقرره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة، لأنه كلية من كليات العقيدة الإسلامية، تحتضن بها الدعوات جميعا؛ وتقسم بها البشرية كلها صفين: صفّ المؤمنين، وصفّ الكافرين، على مدار الرسالات، ومدار القرون، وينظر المسلم فإذا الأمة المؤمنة بكل دين وكل عقيدة من عند الله هي أمته، منذ فجر التاريخ، إلى مشرق الإسلام، دين التوحيد الأخير، وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة ودين، وإذا المؤمن يؤمن بالرسل جميعا، ويحترم الرسل جميعًا؛ لأنهم جميعهم حَمَلَةُ رسالة واحدة هي رسالة التوحيد[3].

بدأ نوح–ʊ– حواره هنا بالتهديد في قوله: ﴿ أَلا تَتَّقُونَ﴾ مبينا صفته في التبليغ عن ربه بأنه لهم رسول أمين؛ أي أمين على الوحي، ومن شأن من كان أمينا في نقله أن يصدق فيما يقول ويتبع فيما يأمر به، وأكد جملة ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ لأنَّ المقام مقام توقع حدوث إنكار من القوم. واستحضر نوح .ʊ. تعليل نفيه للطمع فيما بأيديهم أو لسؤاله الأجر على دعوته ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ومعنى "إن" هنا تفيد حرف النفي "ما".

ونلحظ أن نوحاً –ʊ–عرض موضوعه من خلال الحوار بكلماتٍ بسيطة واضحة لا لبس فيها، ولا غموض؛ حتى يفهمها المخاطبون على المستويات المختلفة، وهكذا فقد اختار نوح .ʊ. لموضوعه ألفاظاً واضحة المعنى والمراد؛ لكيلا يصرف الذهن عن المعنى الأصلي المراد، ولا يترك أيّ مجال للتأويل.

وإنَّ ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بشكلٍ عامٍ، وفي القصص بشكلٍ خاصٍ من المسائل المعضلة التي وقف عليها الدارسون على مرّ العصور وحتى يومنا هذا، وقد رصدت هذه الدراسة مجموعة من التكرارات في بعض قصص الأنبياء، وبخاصة

---

[1]) سورة البقرة: الآية 285

[2]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، 120/3

[3]) قطب، في ظلال القرآن، 2607/5

قصة نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام. وكان لا بدَّ من التعريج على هذه القضية المهمة، ومن خلال استقراء الباحث لآراء الدارسين فقد أبدع الصابوني في تفسير هذه الظاهرة، وهو قول اعتمدته الدراسة في بيان الظاهرة، يقول الصابوني في هذه المسألة: " قد ذكرت قصص الأنبياء في سور عديدة، فجاءت مكررة – حسب الظاهر – ولكن هذا التكرار له حكمته البليغة، وإشارته الدقيقة، فإنه يدل على إعجاز القرآن الكريم، وعلى أنه بحق كتاب منزل من عند الله، فإنَّ أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء يستحيل عليه إذا كتب قصة مرة واحدة، أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على مكانة الأسلوب، وفصاحة الألفاظ وبلاغة التعبير، ولا بدَّ أن يرى الفرق بين الأسلوبين واضحاً كل الوضوح، أما القرآن الكريم فقد تفنَّن في سرد القصص بنفس الفصاحة والبيان والروعة والإتقان، فجاءت القصة فيه مكررة معبرة عن معنى واحد، ولكن بألفاظ أخرى وعبارات مختلفة"[1].

ونلحظ في حوار نوح .ʊ. أن شخصيته .ʊ. قد جسَّدت الشخصية القصصية ذات المستوى الواحد، وهي الشخصية غير المعقدة التي تكون على مبدأ واحد، وتظل سائدة من أول القصة حتى نهايتها، وكانت الشخصيات النامية حاضرة في قوم نوح، فنجدها تتطور وتنمو بصراعها مع الأحداث، ولكن ذلك التطور كان تطوراً سلبياً، وهذا التطور السلبيّ يصل إلى ذروته. ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ! ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ! ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ! فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[2].

هذا المشهد التصويري يعبِّر عن حال قوم نوح –ʊ–؛ رداً على دعوته عليه الصلاة والسلام، ففي قوله تعالى: ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾، يتبين استحالة وضع الإنسان إصبعه كلها في أذنه، ولكن الله تعالى أطلق الكل (الأصابع) وقد أراد الجزء (أطرافها)، وهذا مجاز مرسل علاقته الكلية.

---

[1]) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، بيروت: مؤسسة مناهل الفرقان، 1985، ص112–113.

[2]) سورة نوح: الآيات (7–10)

لقد عانى نوح .υ. من قومه، بعد تلك السنوات الطوال من الدعوة، وذلك الاستكبار والعصيان من قومه، تظهر صورة نوح –υ– وهو يعطي تقريرا مفصلاً لحالة قومه: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿21﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿22﴾ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿23﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿24﴾[1].

في هذا المشهد الحواري نجد أن قوم نوح –υ–وصلوا إلى ذروة الكفر والعصيان، ووصل نوح إلى قناعة أن لا فائدة من دعوتهم، فجاءت دعوته نحو ربه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا !إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[2].

هذا المشهد الختاميّ لدعوة نوح –υ– قومه، فقد وصلت إلى الذروة، فتيقَّن نوح –υ– بعد تسعمائة وخمسين سنة أن القوم استحالت هدايتهم، حتى ذريتهم سيكونون مثلهم ﴿وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، وهنا مجاز مرسل علاقته ما يكون، بمعنى أن المولد لا يولد فاجراً ولكنَّه بعد الولادة سيكون فاجراً.

2.1.2 حوار هود –υ– وقومه

دعا هود قومه إلى إفراد العبادة لله I واتباع أوامره سبحانه وتجّنب نواهيه، ثمّ حرص على التحبّب إليهم بأسلوب الترهيب بعد الترغيب. يقول – تعالى–: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿66﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿67﴾[3]

فهو يدعو قومه بمثل ما دعا نوح .υ. قومه إلى التوحيد مستغلا صلة القربى التي تربطه بهم، والتي تقتضي حرصه الشديد على ما ينفعهم، وخوفه الشديد عليهم؛ لذا فقد استخدم "يا قوم"، وتظهر كلمة "أخاهم"؛ أي أنَّه منهم وتربطه بهم صلة الدّم

---

[1]) سورة نوح: الآيات (21–24)

[2]) سورة نوح: الآيات (26 – 27)

[3]) سورة الأعراف: الآيات (65–67)

والقربى، وقد عقب جوهر دعوته إلى التوحيد بجملة إنشائية بنيت على استفهام فيه معاتبة وتوبيخ مشيراً بذلك إلى أنَّهم في إصرارهم على الشرك والعناد خارجون عن مقتضى العقل السليم والتفكير الرزين، لذا كان إنذار نبيّ الله هود .υ- لهم في بداية الأمر أنسب لقرع آذانهم وتنبيه عقولهم الغافلة، فقال أثر دعوتهم إلى التوحيد(أَفَلا تَتَّقُونَ). كما نلحظ أن نصب أخاهم "مفعول به" على حذف الفعل أرسلنا. وهو جواز حذف الفعل.

ولكنَّ قوم هود لم يختلف ردّهم عن ردِّ قوم نوح –υ–: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]. والملأ كما ورد في لسان العرب: "هم أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدَّموهم، الذين يُرجع إلى قولهم"[2]، ويظهر هنا أن هؤلاء الأشراف هم الأكثر عداوة للرُّسل، وقد يعود السبب في ذلك إلى أنهم الأكثر تمسكاً بالأمور الدنيوية، ورفضهم خسارتها، فكانوا هم من يتصدرون محاورة هود –υ– كما فعل أمثالهم من قوم نوح –υ– من قبل. وعند استحضار موقف قوم نوح –υ– نجده مطابقا لموقف قوم هود –υ–، فكان الرفض والتكذيب، والاتهامات بالكذب وبالسفاهة والضلالة.

وجاء ردُّ هود –υ– ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، فكان التحبب حاضراً في حواره –υ– مع قومه، فينفي عن نفسه السفاهة، ويثبت صدق رسالته.

أما حواره –υ– في سورة هود فيبدأ عند قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿50﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿51﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿52﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿53﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

---

[1]) سورة الأعراف: الآية 66

[2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ملأ)

[3]) سورة الأعراف: الآية 67

وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿54﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿55﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿56﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿57﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿58﴾[1].

جاء الأسلوب القرآن في الآيات السابقة حاملا التودد والتحبب، أولا من خلال الأدب القرآني الجم بقوله: يا قوم مكررة ممزوجة بأسلوب الترغيب أولا (استغفروا ربك إنه كان غفارا) ثم جاء الوعيد والتهديد، فكانت الشدة والمصارحة حاضرة في هذا الخطاب، وذلك نظرا لما هم عليه من كفر وشرك، وإصرارهم على ذلك، فلم فكان خطابه موجها صريحا، لأنهم يكذبون على الله، وهو ما أفادته جملة القصر في قوله ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾. لأنَّ المقام مقام توقع الإنكار، ثم وضَّح لهم تلك الحقيقة الغائبة عن أذهانهم، ومن قبل كانت غائبة عن أذهان قوم نوح –υ–، وهي أنَّه في دعوته لا يريد أية مصلحة دنيوية مادية، وهو ما أكد عليه بالتنكير المفيد للتوكيد "أجراً" فأفاد بذلك التعميم، وإنما يبتغي الأجر على الدعوة من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾([2]).

إنَّ القوة حين تكون بعيدة عن الحق، وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستعلية تصير سببًا من أسباب الطغيان؛ بل من أخطر أسبابه، إنها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بدهية من البدهيات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا، فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيّدين متفاخرين، إنهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني، فيصبحُ البطشُ طبيعتَهم، والتجبر ديدنهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة([3]). فعلى كل من يتَّصف بالقوة ألاَّ يركن إلى قوته المادية، وألاَّ يعوّل عليها وحدها وألا يغترّ بها حتى لا تدفعه إلى الاستبداد والتجبّر.

---

[1]) سورة هود: الآيات (50–58)

[2]) سورة هود: الآية51

[3]) عباس، فضل حسن، القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته، عمان، الأردن، دار الفرقان، 1987، ص104

إنَّ أصحاب الدعوة إلى الله . I. في أي زمان أو مكان كما يقول سيد قطب، في حاجة إلى أن يقفوا طويلاً أمام المشهد الذي يظهر فيه هود –υ– وهو يحاور قومه ولم يؤمن معه إلا قليل، يواجه أعتى أهل الأرض، وأغناها وأكثر أهل الأرض حضارة مادية في زمانهم. إنّ هؤلاء العتاة الجبارين الذين يبطشون بلا رحمة، والذين أبطرتهم النعمة، والذين يقيمون المصانع يرجون من ورائها الامتداد والخلود، هؤلاء هم الذين واجههم هود –υ– هذه المواجهة، في شجاعة المؤمن واستعلائه وثقته واطمئنانه، وفاصلهم هذه المفاصلة الحاسمة الكاملة وتحدّاهم أن يكيدوه بلا إمهال، وأن يفعلوا ما في وسعهم فلا يبالي بهم بحال[1].

3.1.2 حوار صالح –υ– مع قومه

أما دعوة النبي صالح –υ–فبدأت لتوحيد مكارم الأخلاق في سورة الأعراف عند قوله . I.: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿73﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿74﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿75﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿76﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿77﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿78﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿79﴾[2].

فهو يدعوهم إلى التوحيد بمثل ما دعا به نوح وهود –عليهما السلام– من قبل قومهما﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ موظّفاً الأسلوب نفسه، الذي فيه من الاستعطاف وإثارة مشاعر الأخوة والاستمالة ما يحمل على سرعة الاستجابة للدعوة والطاعة "يا قوم"

---

[1]) قطب، في ظلال القرآن، 1905/4

[2]) سورة الأعراف: الآيات (73 – 79)

فإضافة القوم إليه تشع بكل المعاني السابقة زائداً عليها حرصه الشديد على ما فيه صلاحهم، وخوفه الشديد عليهم مما فيه هلاكهم. ونلحظ حذف ياء المتكلم والاكتفاء بكسرة تدليلا على المحذوف؛ لأن الكسرة تدل على الياء.

وفي سورة هود حاور صالح –υ– قومه لدعوتهم إلى التوحيد بمثل دعوته إليهم في سورة الأعراف مضيفاً إلى أسلوب التذكير بنعم الله التي تستوجب شكر المنعم بها بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، أضاف أسلوب الترغيب في مغفرة الله وقبوله التوبة الصادقة ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿61﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿62﴾[1].

وقد ذكَّر صالح –υ– قومه بنعمة الله عليهم من الإيجاد والاستعمار في الأرض باستخدام جملة القصر التي تفيد الاختصاص معللا بها الأمر بالعبادة، فإذا كان الله هو المنعم عليهم إذ لم ينشئهم من الأرض إلا هو، ولم يستعمرهم فيها غيره، فليس من العقل التسوية بين من يَخْلُقُ ومن لا يَخْلُقُ ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. الإنشاء هنا يعني أنَّه ابتدأ خلقكم، فهو خلقكم من الأرض التي خَلَقَ منها أباكم آدم[2]. و﴿اسْتَعْمَرَكُمْ﴾ عمركم وأسكنكم فالسين والتاء زائدتان، أو صيَّركم عامرين لها فهما للصيرورة[3].

ثم فرَّع على التذكير بهذه النعمة استغفاره والتوبة إليه، ثم استأنف بجملة﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ وكأنَّ القوم استعظموا أن يكون جرمهم مما يقبل الاستغفار عنه مما ألجأهم إلى اليأس من رحمة الله، فأجيبوا بأن الله قريب مجيب، "قريب من كل من أقبل

---

[1]) سورة هود: الآيات (61–62)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 331/4

[3]) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 387/4

إليه مهما كان جرمه من غير حاجة إلى معاناة مشي ولا حركة جارحة، مجيب لكل من ناداه، لا كمعبوداتهم في الأمرين معا"[1].

4.1.2 حوار إبراهيم .ט. مع قومه

تجمَّل إبراهيم –ט– بالأدب الرفيع والخلق القويم، فكانت دعوته تجسيداً لهذه المعاني، يقول الحق جل وعلا بشأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ويفسِّرها الزمخشري بأن إبراهيم عليه السلام كان أمة؛ لكماله في جميع صفات الخير، أو لأنه كان إماماً يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير[3]،وفي كلا المعنيين دلالة على سموّ أدبه –ט–، وهذا ما يتوجب على الداعية المسلم، أن يكون قدوة للخلق حتى ينجح في إصلاح أحوالهم وتقويم سلوكهم، وقد علمنا إبراهيم عليه السلام الذي سلَّم قلبه للعرفان، ولسانه للبرهان، وبدنه للنيران، وولده للقربان، وماله للضِّيفان دروساً في آداب الدعوة إلى دين الله الحنيف[4].

كان إبراهيم –ט– ذكياً صائب الرأي، وقد علم أن الحجة والبرهان اللفظي، وإن وضحا وضوح الصبح؛ لا ينبتان نبتا حسنا في هذه الأرض ما لم يقارنهما الحس والبصر، لذلك فقد أراد أن يشرك أبصار القوم مع بصائرهم وأن يقرن حواسهم مع أفئدتهم، لعلهم يرعوون عن غيرهم، ويدركون بأنفسهم تفاهة ما هم عليه من عبادة حجارة لا تنفع ولا تسمع، ولا تغني صاحبها شيئا[5].

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿69﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿70﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿71﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿72﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ

---

[1]) البقاعي، أبو الحسن برهان الدين(ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، استنبول: دار الكتاب الإسلامي، (د.ت)، 319/9

[2]) سورة النحل: الآية 120

[3]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، 482/3

[4]) الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي (ت 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، 228/8

[5]) الصابوني، النبوة والأنبياء، ص162

يَضُرُّونَ ﴿73﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿74﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴿77﴾[1].

إنَّ والد إبراهيم في الأصل من ذلك المجتمع، وأي خطاب له أو لهم هو خطاب للمجتمع كله، وأي ردة فعل من طرفهم هي عداوة له، وإن كانت الأصنام التي يعكفون عليها﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ} ويتساءل فخر الدين الرازي حول هذه المسألة بقوله: كيف يكون الصنم عدوا وهو جماد؟ إن الكفار لما عبدوها وعظَّموها، ورجعوا إليها في طلب المنافع ودفع المضار فنزلت منزلة الأحياء العقلاء في اعتقادهم ثم إنها صارت أسبابا لانقطاع الإنسان عن السعادة، ووصوله إلى الشقاوة فلما جرت هذه الأصنام مجرى الأحياء وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم جرت مجرى الأعداء[2]. وكان إبراهيم يهدف من سؤاله إياهم أن ينال اعترافاً بأن آلهتهم لا تنطق[3].

ويقول تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴿80﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿81﴾([4]).

أنكر إبراهيم –ʊ– على قومه محاجته في وحدانية الله، بعد أن هداه الله إلى الحق، وذلك عن طريق جملة إنشائية مبنية على الاستفهام الانكاريّ التوبيخيّ، ثم أكَّد إنكار خوفه من أصنامهم، وذلك عن طريق جملة استفهامية مشوبة بالإنكار والتعجب والتوبيخ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ} إشعاراً بغرابة هذا الأمر، وهو مخافة أصنام عاجزة لا تقدر على شيء.

---

[1]) سورة الشعراء: الآيات (69–77)

[2]) الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، تحقيق: محمد أحمد وآخرون، العراق: وزارة الأوقاف، 1990، ص327

[3]) شاكر، كمال مصطفى، أحسن القصص، قصص الأنبياء، ط2، دمشق: دار المعرفة، 1992، ص88

[4]) سورة الأنعام: الآيات (80–81)

ونلحظ على حوار إبراهيم –υ– كثرة بناء جمله على الاستفهام، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى ما في الاستفهام من إثارة العقل وبعثه على التفكير المتزن. وقوله ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ} مبالغة لا توجد مع غيرها من أدوات الاستفهام، حيث يتوجه الإنكار بها إلى إنكار الوقوع ونفيه بالكلية، وذلك يتم عن طريق الاستدلال العقلي، بتسليط الإنكار على كيفية الخوف لا على الخوف نفسه، "بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعا، فإذا انتفى جميع أحواله وكيفياته انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني"[1].

وقد اتَّخذ القوم من إبراهيم –υ– موقفاً عدائياً زاد على ما سبقه، فبعد ما ألفوا آلهتهم المزعومة جذاذاً، ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ}[2]، فأكَّدوا ظلم من قام بهذه الفعلة بآلهتهم بـ"إن واللام المزحلقة" واسمية الجملة إشعاراً بأنَّه من الذين يجب الانتقام منهم، فراحوا يبحثون عن الجاني فقيل إن الذي يحتمل أن يكون فاعلا لهذا الفعل هو إبراهيم الذي كان يذكرهم بسوء، فطلبوا به على رؤوس الأشهاد ليكون عبرة للشاهدين:﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴿60﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿61﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿62﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿63﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿64﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿65﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿66﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿67﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿68﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴿69﴾ [3].

ويظهر من خلال هذا المشهد الحواري تهكم إبراهيم –υ– على آلهة قومه، ويتّضح ذلك من خلال تجيير إبراهيم –υ– الإجابة إلى تلك الأصنام، وهو يعلم أنها لن تجيب، فهي لا تضرّ ولا تنفع.

---

[1]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 239/2

[2]) سورة الأنبياء: الآية 59

[3]) سورة الأنبياء: الآيات (60–69)

وهكذا اتخذ القوم من إبراهيم عليه السلام في دعوته موقف العناد والجهل والبغي بغير حق، فاحتكموا إلى تقاليد الآباء، وقدَّسوا معبوداتهم، وساروا على نهجهم في العبادة والمعبودات، ولجؤوا إلى التهديد بالرَّجم وطلب الابتعاد، وذلك في موقف أبيه منه عليه السلام، ثم لجؤوا إلى اغتياله بإلقائه في النار انتصاراً لآلهتهم، ولكنَّ الله نجَّى نبيه فكانت النار برداً وسلاماً عليه.

5.1.2 حوار لوط –ט– مع قومه

يبدأ حوار لوط .ט. مع قومه في سورة الأعراف على غير منوال دعوات الرسل قبله في هذه السورة، حيث بدأ حواره بإنكار ما هم عليه من المساوئ الأخلاقية داعياً لهم إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، إذ بدأ بإنكار فواحشهم قبل دعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة لفظاعة ما هم عليه من سوء الأخلاق؛ حيث كانوا أهل فساد لم يسبق له مثيل، إذ فشى فيهم الشذوذ الجنسي إلى جانب الرذائل الأخرى، يقول تعالى: { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿80﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿81﴾[1].

فهو ينكر عليهم فاحشتهم في جملة إنشائية مبنية على استفهام مشوب بالإنكار واللوم والتوبيخ، مطنبا بالتفصيل أو التفسير بعد الإبهام، لتشويق نفوسهم إلى الاستماع إليه بالإبهام، فإذا فسر تمكن الإنكار في نفوسهم لأنه جاء بعد تطلع وإلحاح[2].

أمَّا حوار لوط –ט– مع قومه في سورة الأعراف فلا تختلف في مقدماتها عن حوار الرسل قبله أقوامهم، حيث جرى التركيز على التقوى والعبادة، والإطاعة ونفي الطمع في الأجر على الدعوة من أيدي المدعوين، ثم إنكار ما كان القوم عليه من سوء الأخلاق، وفساد السلوك، يقول تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴿160﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴿161﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿162﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴿163﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿164﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴿165﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ

---

[1]) سورة الأعراف: الآيات (80 – 81)

[2]) محمد، خطاب الأنبياء في القرآن الكريم، ص56

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿166﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿167﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿168﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿169﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿170﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴿171﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴿172﴾ [1].

إنَّ الجديد في هذا الحوار هو تسليط الإنكار على إتيان "الذكران"، وقوله: {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم }، وفي تذييل الآية { بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}، ففي تسليط الإنكار على إتيان { الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} زيادة معنى خلت منه آية الأعراف { إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴿81﴾، فذكر الذكران هنا مع "من" الفصيلة الدالة على الفصل بين متخالفين، يشير إلى أن هذا الجرم القبيح الذي ابتدعه القوم قد خالفوا به جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث، حيث لا يوجد من بينها من يأتي الذكور، وهم بذلك خالفوا الفطرة.

وفي قوله تعالى: { وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴿166﴾ تقييد لما يتبادر إلى الذهن من إطلاق الإباحة في النساء عامة في قوله في سورة الأعراف {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ}، فقيَّد ذلك بما أباحه لهم الشرع من النساء وهن الأزواج الشرعيات.

ويتأكد هذا المعنى في حواره عليه السلام الوارد في سورة النمل: { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴿54﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿55﴾[2]. ولا نجد اختلافاً هنا إلا في تذييل الآية الأولى{ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}، حيث سلط الإنكار على إتيانهم الفاحشة حالة كونهم مدركين لفظاعتها مبصرين بقلوبهم أنها خطيئة ومنكرة، وفي هذا دلالة على أن القوم معاندون ومتعمدون في إتيانهم الرجل استمتاعا وشهوة تاركين النساء اللاتي أباحهن الله لهم بالنكاح الشرعي[3]. وكانوا يفعلونها مجاهرة، لا خفية.

---

[1]) سورة الشعراء: الآيات (160 – 172)

[2]) سورة النمل: الآيات (54–55)

[3]) الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري والسيد عبد العال ومحمد الشافعي، قطر: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007، 121/1

6.1.2 حوار موسى –υ– مع قومه

من أكثر القصص القرآنية تكراراً هي قصة موسى –υ–؛ لذا كان الحوار بارزا فيها، وخاصة فيما يتعلق بحواره مع قومه، وقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّـهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿67﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿68﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿69﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّـهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿70﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿71﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّـهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿72﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّـهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿73﴾[1].

وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآيات، وملخّصها أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قتل عمَّه ووضعه في محلّة لسبطٍ من أسباط بني إسرائيل غير سبطه، ثم اتهمهم بأنهم قتلوه، وطالبهم بديته، فردّوا التهمة عن أنفسهم، وصار كل من ولي الدم والمتهمين يتدافعون الأمر فيما بينهم، ثم طلبوا من موسى –υ– أنْ يسألَ ربَّه البيان، فأمرهم أنْ يذبحوا بقرة، فكان منهم ما كان مما ذكرته الآيات[2]. وتكشف هذه القصة عن كثير من السِّمات الخُلُقية لبني إسرائيل، وتُبرز خاصية سوء أدبهم مع نبيِّهم ومع الله –I–.

---

1) سورة البقرة: الآيات (67– 73). عوان: ما كان في منتصف السن من كل شيء، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عون).

2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 446/1. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 109/1. والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، بيروت: دار الفكر، 1996، 238/1

أجاب موسى –υ– قومَه على طلبهم ببيان القاتل قائلاً: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾. وفي هذا التعبير بهذه الصيغة ما يكفي لأن يدفعهم إلى الاستجابة والتنفيذ، فنبيهم يبيّن لهم ما عليهم أن يفعلوه وينبئهم أنَّ هذا الأمر إلهيّ يسير موسى على هداه. فماذا كان جواب القوم؟ لقد كان سفاهة وسوء أدب، واتهاماً لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم، فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾.

ولم يجد موسى ما يرد به على هذه السفاهة إلا أنْ يستعيذ بالله وأن يردّهم برفق إلى مراعاة الأدب الواجب مع الله –I–، وذلك بأسلوب التعريض والتلميح، وأن يبيّن لهم أنَّ ما ظنوه لا يليق إلا بجاهل بقدر الله لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه:﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. وذكر الآلوسي أنَّ في نفي موسى –υ– للجهل عن نفسه، نفيٌ لملزومه الذي اتُهم به وهو الاستهزاء، وذلك عن طريق الكناية. وأن الاستعاذة بالله من ذلك من باب الأدب والتواضع معه سبحانه([1]).

وكان في هذا التوجيه ما يكفي ليثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربِّهم وينفذوا أمر نبيّهم، ولكنهم كعادتهم يلجأون إلى المماطلة والتلكؤ، فيسألون أسئلة لا حاجة إليها:﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾. إنهم بهذا السؤال وبهذه الصيغة يكشفون عن أنفسهم التي يساورها الشك في أن يكون موسى –υ– هازئاً غير جاد فيما طلب منهم. وفي قولهم: "ادع لنا ربك" من سوء الأدب ما لا يخفى، فكأنما هو ربه وحده وليس رب الجميع، وكأن المسألة لا تعنيهم هم وإنما تعني موسى وربه. وفي سؤالهم عن ماهية البقرة بقولهم: "ما هي" سوء أدب آخر، فالسؤال في هذا المقام يشير إلى إنكارهم واستهزائهم. فهي ليست إلا بقرة، وقد قال لهم نبيهم هذا من أول الأمر بلا تحديد لصفة أو سمة.

ثم يسلك موسى –υ– في الإجابة طريقاً غير طريق السؤال. فقد كان بالإمكان أنْ يبين لهم انحرافهم بصيغة السؤال، ولكن أدبه يمنعه من ذلك، وهو لا يريد أنْ يدخل معهم في جدلٍ شكليّ لا طائل وراءه، فآثر أنْ يجيبهم كما ينبغي أنْ يكون المعلم المربي، ومن ثم أبان لهم عن ربه صفة البقرة المطلوبة: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾. إنها ليست عجوزاً ولا شابة. بل هي وسط بين هذا

---

1) الآلوسي، روح المعاني، 286/1 .

وذاك[1]. ونلحظ أنَّ موسى دائماً يسند القول إلى الله –I–، وذلك لأنَّ هذا أدْعى لتحقق الاستجابة من طرفهم. وصيغة المضارع في (يقول) تدل على استحضار الصورة[2].

ثم يُعقِّب على هذا البيان الموجز بنصيحة آمرة، فيقول: ﴿فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ﴾ ولقد كان هذا كفاية لمن يريد الالتزام. فقد وجههم نحو الأدب الواجب في السؤال والتلقي، وحثّهم على أن يعمدوا إلى أية بقرة من أبقارهم متوسطة السن، فيخلِّصوا بها ذمتهم، وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق.

ولكنهم راحوا يسألونه مرة أخرى وبنفس الأسلوب: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ وهم هذه المرة يسألون عن لون البقرة، فجاءهم البيان التفصيلي: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ وهكذا ضيَّقوا على أنفسهم دائرة الاختيار. لقد كانوا في سعة من الأمر فأصبحوا مكلَّفين بالبحث عن بقرة متوسطة العمر، لا هي عجوز ولا هي صغيرة، ثم لا بدَّ أنْ تكون صفراء، وأنْ تكون الصُفرة فيها فاقعة، ثم بعد هذا وذاك ليست هزيلة ولا شوهاء، بل تسرُّ الناظرين.

في هذا المشهد تتجلى شخصية موسى .υ. وهو يؤدي رسالته التي تتمحور حول تذكير قومه بنعمة الله عليهم، نعمة النجاة من سوء العذاب الذي يلقونه من آل فرعون، وقد خرج أسلوب الأمر عن حقيقته إلى غرض بلاغي وهو النصح والإرشاد، وإلى الحرص الشديد الذي يبديه موسى على قومه، وهنا تتعمق دلالة الشكر ومعناه في نفوس قومه، وفي أثناء حواره معهم يدرج لهم إبراهيم قول المولى– عزَّ وجلَّ–" لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"، وفي هذا اللون من التنويع في أسلوب الحوار ما يؤكد دعوته، ويحمل في طياته الوعد والوعيد، الإغراء والحث، إن هذه المقابلة تثير الذهن، وتعمق الفكرة، وتشحن الخطاب بدلالات قوية موحية.

وأدَّى الحوار دوراً تصويرياً مؤثراً في رسم ملامح المعركة بين الإسلام والجاهلية وتجسيدها، يقول المولى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾[3]. تتجلى في هذا الحوار

---

1) قطب، في ظلال القرآن، 1/77–79.

2) الآلوسي، روح المعاني، 1/288 .

3) سورة إبراهيم: الآية 13

صورة القوة الغاشمة وهي تسفر عن وجهها الصلد، وهنا يتبين أنه لا مجال للدعوة، ولا مجال للحجة، فالكافرون يريدون من أنبيائهم ترك دعوتهم، والالتحاق بهم، وهذا أمر مستحيل.

الفصل الثالث

الحوار الداخلي وبنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم

1.3 الحوار الداخلي في القرآن الكريم

يقسم الحوار –كما ذكر سابقا– إلى نوعين، وهما: الحوار الداخلي، والحوار الخارجي، وقد فصل في الفصول السابقة للحوار الخارجي، وفي هذا الفصل سيتم درس الحوار الداخلي في القرآن الكريم، وإنما كان للحوار الخارجي المساحة الكبرى في هذه الدراسة، ويعود السبب إلى أن مجموع الحوارات التي اتكأت على الحوار الخارجي هي أكثر تداولا في القرآن الكريم، لذا كان التركيز في الفصول السابقة على الحوار الخارجي، وفصِّل فيه الحديث، ونظرا لأهمية الحوار الداخلي مع قلة نماذجه في القرآن الكريم، فقد ارتأت الدراسة أن تتناوله في هذا الفصل.

تعددت مسميات الحوار الذي يتم داخل النفس البشرية، وخاصة في النقد الحديث، ومن تلك المسميات التي تشير إلى المعنى نفسه، المناجاة، والدعاء، والمونولوج الداخلي، وهنا تشير الدراسة إلى أنها تعاملت مع المونولوج الداخلي والمناجاة والدعاء والحوار الداخلي بأنها تقع كلها ضمن تقنية الحوار الداخلي، فكلها كلام غير منطوق يتم داخل النفس البشرية، فتعدد المسميات لا يعني اختلافا جذريا في المفهوم؛ لذا فكل الآيات القرآنية التي سيقت ضمن القصص القرآني، وكانت الشخصية تحاور نفسها دون إظهار الكلام كانت محورا لدراسة الحوار الداخلي.

1.1.3 مفهوم الحوار الداخلي

إن الإفصاح عن مكنونات الإنسان الداخلية لا يعتمد أساسا على الكلام والنطق به فقط، وإنما هناك طريقة داخلية للإفصاح وهي التفكير والتأمل والملاحظة، واستحضار الذكريات وكل هذه الأمور لا يغفلها السارد فيحاول استدراجها ضمن تقنية الحوار الداخلي؛ إذ هو خطاب بدون سامع غير ملفوظ تعبر بوساطة الشخصية عن أكثر مقاصدها الداخلية، أقربها إلى اللاشعور وهي أفكار سابقة على تنظيم منطقه، فهو شحن داخلي ينجم عن انشطار تعانيه الشخصية في لحظات تأزمها، ومن ثم فقد ساهم في

إبراز ملامح الشخصيات وأزماتها النفسية والفكرية والتي يراد التعبير عنه، فالشخصية تستطيع فيه التعبير عن أخص الأفكار التي تكمن في أقرب موضع من اللاشعور([1]).

فالشخصية في الحوار الداخلي ترتد من الحوار إلى داخلها؛ لتقيم حوارها مع العالم الخارجي عبر أسئلة داخل النفس، تعكس موقفها تجاه ما يجري، ويقوم الحوار الداخلي بدور كبير في كشف أغوار الشخصية، وتجلية جوانبها الفكرية والنفسية، وتحليل سلوكها في غير حالة من الحالات التي تتعاورها :كالحب والكره والتضحية والأنانية([2]).

والحوار الداخلي هو "الكلام الذي لا يسمع، ولا يقال، وبه تعبر الشخصية عن أفكارها؛ أي ما كان منها إلى اللاوعي دون تقييد بالتنظيم المنطقي، أو بعبارة أخرى في حالتها الأولى، وسبيل الشخصية إلى هذا التعبير وهو الكلام المباشر الذي يكتفي فيه بالحد الأدنى من قواعد اللغة، على نحو يدل على أن الخواطر قد سجلت كما ترد إلى الذهن تماما"([3]).

وهو الحوار الذي يختص بالذات وحدها، ويدور بين الشخص وذاته، فيكون مرسلا ومستقبلا في الوقت نفسه، وهي مقولة غير معلنة، ويرجع حصولها داخل النفس، ومن الثابت أن تعبير النفس عن انفعالاتها يضيف للمشهد أبعادا لتصوير الصراعات في باطن الشخصية، وما يعتملها من مشاعر وأحاسيس([4]).

لذا، فالحوار الداخلي تكنيك يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها، وذلك في اللحظة التي توجد فيها هذه العمليات في

---

[1]) لفتة، ضياء غني، البنية السردية في شعر الصعاليك، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2010، ص110

[2]) حمدان، عبدالرحيم، اللغة في رواية "تجليات الروح للكاتب محمد نصار، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد16، العدد2، 2008، ص136

[3]) خوني، علية، الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان عباس بن الأحنف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، الجزائر، 2013، ص12

[4]) نزال، فوز سهيل، لغة الحوار في القرآن الكريم: دراسة وظيفية أسلوبية، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2001، ص75

المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود([1]).

والحوار الداخلي هو كلام غير مسموع أو ملفوظ، تعبر به الشخصية عن أفكارها الباطنية الأقرب إلى اللاوعي، وهي أفكار لم تخضع للتنظيم المنطقي لأنه سابقة لهذه المرحلة، ويعبر عنها بعبارات تخضع لأقل قدر من القواعد اللغوية بغرض أن توحي للقارئ عند ورودها إلى الذهن([2]). يقصد من ذلك أن الإنسان عند حواره الداخلي لا يرتب أفكاره ولا يصطنع ألفاظه، فتترك النفس فيه تتحدث بطبيعتها، وهذا قد يخالف الحوار الخارجي إلى حد ما، الذي في أغلبه يهتم بتراكيب الألفاظ، ويرتكز على لغة الخطاب.

وهو الخطاب دون مستمع وغير المنطوق به بوساطته تعبر شخصية عن فكرها الأشد حميمية، والأقرب إلى اللاوعي، سابقا عن كل تنظيم منطقي أي في حال ولادته عن طريق جمل مباشرة مختزلة إلى الحد الأدنى من التركيب بحيث يعطي الانطباع بالاختلاط وعدم الاختيار([3]).

ويتحول الحوار في هذا النمط من حوار تناوبي يدور بين شخصيتين إلى حوار فردي يعبر عن الحياة الباطنية للشخصية؛ إذ توظفه للتعبير عما تحس به وعما تريد قوله إزاء مواقف معينة إذ يعمل هذا النمط من الحوار على تكثيف الأحداث والزمان ويعطي الفورية للقصة وما يميزه انه صامت ومكتوم في ذهن الشخصية، كما انه غير طليق ولكنه تلقائي بالنسبة للقارئ([4]).

---

[1]) لونيسي، الصالح، تيار الوعي في رواية التفكك لرشيد بوجدرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2011، ص66

[2]) حادي، أحلام، جماليات اللغة في القصة القصيرة، عمان، الأردن، المركز الثقافي، 2004، ص40

[3]) لونيسي، تيار الوعي في رواية التفكك لرشيد بوجدرة، ص69

[4]) عبدالعزيز، سعد، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، القاهرة، المطبعة الحديثة، 1970، ص39

وهو أحادي الإرسال تُعبر فيها شخصية واحدة عن حركة وعيها الداخلي، في حضور متلقٍ، واحدٍ، متعددٍ، حقيقي أو وهمي، صامت غير مشارك في الإجابة([1]).

من خلال سرد ما سبق من التعريفات لمفهوم الحوار الداخلي يمكن القول إن الحوار الداخلي حوار ذاتي؛ أي أنه يكون داخل نفس الإنسان، فيحدِّث الإنسان نفسه، فيكون حوارا غير مسموع، وقد يكون حديث الإنسان مع ربه بالدعاء والمناجاة هو نوع من أنوع الحوار الداخلي؛ لذا كل حوار غير مسموع تُحَدِّث به النفس هو حوار داخلي.

ويمكن تقسيم الحوار الداخلي إلى ثلاثة أنماط هي([2]):

1. الحوار الواعي أو الذاكرة الإرادية الذي يشكل تداعيات تظل مشدودة إلى الشعور ومحكومة بالوعي، ويتخذ ثلاثة مظاهر هي: التذكر والنجوى والتخيل.
2. الحوار اللاواعي أو الذاكرة اللاإرادية الذي يشكل التدفق التلقائي للسيولة النفسية من غير ضوابط أو روابط تحل فيه الآلية اللاشعورية .ومن مظاهره الحلم الصريح وهذيان الذاكرة أو تداعيها الحر.
3. الحوار الإنشائي أو فقدان الذاكرة: هو الصراع المتجدد مع الهو(الحاضر) والمخزون النفسي الملغوم بالعقد وبالمكبوتات(الماضي) والتطلع نحو التحرر والخلاص من(المستقبل).

وهناك من فرَّق بين الحوار الخارجي والحوار الداخلي بالنظر إلى أطراف الحوار، فجعلوا الحوار الخارجي يشكله طرفان فأكثر، بينما الحوار الداخلي، فيتشكل من طرف واحد، وهنا يمكن القول إن هذا الفرق بينهما يكاد يجانبه الصواب، فالحوار الداخلي إذا تمعنا به جيدا نجده يتم بين طرفين، فالإنسان عندما يحدث نفسه، ففي هذه الصورة شخصيتان في شخص، فالإنسان يتحاور مع ذاته، وهما هنا اثنان لا واحد، وفي المناجاة، فتكون بين العبد وربه، وهما اثنان لا واحد، فالظن أن من ذهب إلى هذا

---

[1]) عبدالوهاب، محمود، الحوار في الخطاب المسرحي، مجلة الموقف الثقافي، المجلد9، العدد10، 1997، ص52

[2]) العوفي، نجيب، مقاربة الواقع في القصة القصيرة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1987، ص518

الاتجاه قد قصد الشكل الخارجي لأطراف الحوار. وهنا لا بد من أن يسجل أن الحوار بنوعيه: الخارجي والداخلي، يكونان بين طرفين أو أكثر.

2.1.3 وظائف الحوار الداخلي وخصائصه

ولأن الحوار الداخلي هو الأقدر على وصف مجرى الشعور، وتتبع عالم الكاتب الداخلي وأفكاره، والاقتراب من طبيعته المتدفقة، ويتناسق هذا بطبيعة الحال مع الحالة النفسية للشخصيات وما تشعر به من خوف وقلق وحصار، تريد أن تنطلق معبرة عن الرفض، فلجأ الكاتب إلى الحوار الداخلي؛ كي لا تظل انفعالاته حبيسة جدران صدره([1]).

ومن مميزات هذا التكنيك كذلك أنه يقدم الاستبطان دون تلخيص، وهذا ما يجعل القارئ يستبعد حضور الراوي أو تصرفه في الكلام، إلى جانب أنه يلقي ما يرد في خاطر الشخصية فتلقي بذلك إلى الخارج دون ضوابط([2]).

وفي الحوار الداخلي يكون الصوتان لشخص واحد، أحدهما هو صوته الخارجي العام، والآخر صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره ولكنه يظهر إلى نسيج النص من حين لآخر، وهذا الصوت الداخلي يظهر كل الهواجس والأفكار المقابلة لها يدور في ظاهر الشعور أو التفكير، فيضيف بعدا جديدا يمثل في لفت المتلقي صوت آخر مقابل يغويه بما يقول أو يعمق شعوره بالفكرة الظاهرة ويقنعه به([3]).

أما عن الحوار الداخلي والذي يكون عادة كلاما غير منطوق يكشف عن أفكار الشخصية ومشاعرها الداخلية. كما يكون مناجاة في شكل استفهام أو نداء أو تعجب. "وتلجأ الشخصية غالبا إلى هذه الوسيلة حين يكون البيان الداخلي للشخصية هو جل ما يستهدفه من كشق وجلاء في ثنايا العمل الأدبي".[4] والغاية من الحوار الداخلي هو محاولة الكشف عن أغوار النفس بأسلوب مؤثر ومعبر نابع عن

---

[1]) حمدان، اللغة في رواية "تجليات الروح للكاتب محمد نصار، ص136

[2]) حمدان، اللغة في رواية "تجليات الروح للكاتب محمد نصار، ص68

[3]) الزيادات، تيسير محمد، توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى، عمان، الأردن، دار البداية للنشر والتوزيع، 2010. ص150

[4]) حادي ، جماليات اللغة في القصة القصيرة، ص47.

مناجاة داخلية ناتجة عن نفس معذبة، ومتألمة كما يدل على قلق هذه الشخصية وانفعالها وحيرتها. وهو يختلف عن الحوار العادي لأن الشخصية التي تناجي نفسها تأخذ دور المتكلم والمستمع.

وتأتي وظيفة الحوار الداخلي في الغوص في العالم الداخلي للشخصية في لحظة زمنية معينة، حيث يوقف المنولوج حركة الزمن الخارجي، ليطفو العالم الداخلي على سطح السرد. والعمل على إبطاء زمن السرد نتيجة لحالة التأمل النفسي، وتوسيع زمن الخطاب([1])، ويمكن الإشارة إلى نوعين من أنواع الحوار الداخلي: الحوار المباشر، وهو: ذلك النمط من الحوار الداخلي الذي يمثله عدم الاهتمام بالسارد، وعدم افتراض أن هناك سامعاً، والحوار الداخلي غير المباشر، هو ذلك الحوار الذي يعطي القارئ إحساساً بوجود السارد المستمر؛ أي أنه هو ذلك النمط من الحوار الذي يقدم فيه السارد الواسع المعرفة مادة غير المتكلم بها، ويقدمها كما لو أنها كانت تأتي من وعي شخصية ما، هذا مع القيام بإرشاد القارئ ليجد طريقه خلال تلك المادة، وذلك عن طريق المادة، وعن طريق التعليق والوصف، وهو يختلف عن الحوار الداخلي المباشر أساساً في أن المؤلف يتدخل فيه بين ذهن الشخصية والقارئ والمؤلف فيه دليل حاضر في المكان يقوم بإرشاد القارئ، وهذا الحوار يكتسب الصفة الأساسية للحوار الداخلي من أن ما يقدمه ينبع من الوعي مباشرة، أي أنه يقدمه في ثوب لغة الشخصية([2]).

والحوار الداخلي المنفرد بين صوتين لشخص واحد أحدهما هو صوته الخارجي العام؛ أي صوته الذي يتوجه به إلى الآخرين، والآخر صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره، ولكنه يبزغ على السطح من آن لآخر. هذا الصوت الداخلي يبرز كل الهواجس والخواطر والأفكار المقابلة لما يدور في ظاهر الشعور أو التفكير، ويضيف بعدا جديدا من جهة، ويعين على الحركة الذهنية من جهة أخرى وتبدو أهمية

---

[1]) قصراوي، مها حسن، الزمن في الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص245

[2]) العبادي، عيسى قويدر، أنماط الحوار في شعر محمود درويش، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد41، العدد1، 2014، ص31

المونولوج من خلال قدرته الفائقة على كشف ملامح الشخصية، ومشاعرها الداخلية، فضلاً عن استخدامه في تغيير إيقاع المسرحية، وتصعيد الحدث الدرامي ([1]).

ويتخذ الحوار الداخلي دوراً في انحراف تعبيري يتيح للشخصية أو السارد أن يعبر عن أفكاره الداخلية وعواطفه بطريقة غير مباشرة، تعتمد على التكثيف والتركيب والمجابهة الصوتية مع المتلقي؛ فالحوار الداخلي يتيح للمتلقي أن يسمع الصوت الخفي الذي يدور في أعماق الشاعر، وهذا نوع من التجسيد أو التجريد، فكأننا مع ذات غير ذات الشخصية تحاور من خلال هذا الصوت الحواري، وكأن الأفكار قد تلبست ثوب شخصية مفتعلة لتعلن عن نفسها في بوح مقصود فنيا([2]).

وعلى ذلك فإننا نرى أن للحوار الداخلي دوراً في كشف الصراع الداخلي للشخصية، وما يجول في ذهنها بحيث يصور أدق وأعمق أفكارها ونفسيتها وما تعانيه وكيف يتعامل الشخص مع الموقف فهو صورة لرسم الشخصية سواء الداخلية أو حتى إبراز الحالة الوجدانية، فهو شرح لنفسية الشخصية وكذلك أفكارها فهو مصور لعواطف الشخصيات.

3.1.3 نماذج من الحوار الداخلي

ومن أمثلة الحوار الداخلي التي عرضها القرآن الكريم، حوار موسى – عليه السلام– مع نفسه بعد أن أنهى مساعدة الامرأتين بأن سقى لهما: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿22﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿23﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿24﴾([3]).

يُعدُّ هذا الحوار عن ارتجاع الأحداث وهي سقي موسى – عليه السلام – أغنام الامرأتين، وقد كانت غايته أن يخرج من مصر إلى مدين إلى أن يهديه الله تعالى

---

[1]) فرحات، أسامة، المونولوج بين الدراما والشعر، القاهرة، الهيئة العاملة للكتاب، 1997، ص19–20

[2]) العبادي، أنماط الحوار في شعر محمود درويش، ص31

[3]) سورة القصص: الآيتان (22–24).

سواء السبيل، وقد رزقه الله تعالى رزقا عبَّر به موسى – عليه السلام – عن شهامته التي تجري في عروقه، فتذكر هذا الحدث الماضي، ولو أنه من الماضي القريب فنشط في الحاضر، فهو فقير إلى ما أنزل الله تعالى إليه من خير فهو عندما تولى إلى الظل فالله تعالى أعلم به وبجوعه وقلبه وما يجول بخاطره من مطاردة الكفرة في وطنه ومن مشقته في هربه ومن الوحشة في غربته فاتجه إلى ربه يدعوه أن يفرج كربه وأن يوسع ضيقه وأن يؤنسه من خوفه وأن يهيئ له الزاد والمنزل([1]).

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴿24﴾ أسلوب خبري خرج إلى معنى بلاغي أفاد الاستعطاف والاسترحام([2])، وفي قوله: ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ فيه حذف مفهوم من السياق، والمعنى تذودان أغنامهما، يفهم ذلك من ذكر الرعاء الذين يرعون الأغنام([3])

لا يتوقف الحوار في القصص القرآني عند الظاهر فقط، بل يتعداه إلى حركات الذهن، وفكر الإنسان، وما يجول في خاطره من اندفاعات خيرة تتمثل في النفس المؤمنة، واندفاعات شريرة تتمثل في النفس البشرية الحاقدة الكافرة([4])، قال تعالى في قصة ابني آدم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿27﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿28﴾ إِنِّي

---

[1]) السعدون، نبهان حسون؛ والطحان، يوسف سليمان، الحوار في القصة القرآنية: قصة موسى – عليه السلام– أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد7، العدد4، 2008 ، ص127

[2]) الصابوني، صفوة التفاسير، 435/2

[3]) خلة، محمود عبدالخالق، سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2002، 109

[4]) أبو شمالة، أماني صالح، أثر استخدام السرد التحليلي للقصة القرآنية على تنمية التفكير الاستنتاجي والاتجاه نحو تعلم القصة لدى طالبات الصف الثاني عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010، ص44.

أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴿29﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿30﴾([1]).

لما كان يفكر قابيل بقتل أخيه هابيل كان يعلم هابيل بما يضمره أخوه له، ومع ذلك كان يحدث نفسه حتى لو مد قابيل يده لقتله لن يفعل هو ذلك، هذا الحوار الداخلي الذي كان يحاور به هابيل نفسه وكأنه أراد أن يثبّت نفسه بالابتعاد عن ارتكاب تلك الجريمة. إذ يبين القرآن الكريم في هذه القصة وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم، قابيل وهابيل وكيف عدا أولهما على الآخر فقتله بغياً وحسداً له، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله – تعالى– ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين[2].

ويلحظ كثرة توكيد الفعل بالنون على لسان إبليس في حواره مع رب العالمين أو في جدله مع نبي الله آدم، بأشكال تعبيرية مختلفة منها (لأحتنكن، لأقعدن، لأغوينهم، لأضلنَّهم، لآتينَّهم، ينزغنك، لأزينن)، للدلالة على استمرارية هذه الأنساق الفعلية وظهورها في حركة الصراع بين إبليس والإنسان على مدار وجود الحياة حيث اختلاف تلك الأفعال باختلاف إرادات البشر وانصياعهم لوساوس إبليس.

ومن النماذج التي تمثل الحوار الداخلي في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿33﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾([3]).

يظهر في هذه الآيات الحوار الداخلي الذي يحدّث به الشخص نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ "، وقد كان ظالما لنفسه بكفره وتمرده

---

[1]) سورة المائدة: الآيات (27–30)

[2]) العمري، أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001، ص159.

[3]) سورة الكهف: الآيات (32–36)

وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبيدَ هذِهِ أَبَداً، هنا يبدأ حديث هذا الرجل الكافر لنفسه، فيأخذه الغرور ويتصاعد في داخله، يقول ابن الأثير: "وكان ذلك اغترارا منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها، لذلك ظن أنها لن تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف"([1]). بدأ الحوار الداخلي ليظهر صورتين، الأولى حالة الغرور التي وصل إليها هذا الرجل، والثانية تظهر حجم تلك البساتين وما فيها من خيرات، وتبقى هذه الشخصية تحدث حديث النفس، ﴿وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾. هنا تحاور الشخصية نفسها داخليا بأمرين، الأول عدم زوال تلك البساتين، والثاني، أن يوم القيامة لن يأتي، وإن أتى فإن الله سيعطيه أفضل من هذا. وكأن هذا الرجل يحاول من خلال هذا الحوار الداخلي أن يطمئن نفسه.

ومن الحوارات الداخلية تلك التي وردت في حوار مريم مع نفسها، فهي تنقل أحاسيسها الداخلية من الوحشة والحزن والألم بجمل قصيرة، والحوار هنا بوسيلة المناجاة يقول تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴿22﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿23﴾([2]).

والملاحظ على النص القرآني في هذه الآية سرعة إيراد الأحداث وتواليها، فهذه الفاءات الثلاث (فحملته فانتبذت فأجاءها) تدل على توالي الأحداث ووقوعها دون إبطاء. وحديث مريم مع نفسها ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾. وهنا تعبير عن الحالة النفسية التي كانت تعيشها مريم في تلك اللحظات، فالإنسان عندما يتمنى الموت يكون قد وصل إلى أعلى مراتب الحزن والألم، فهي العذراء التي يأتيها المخاض الأول وهي وحيدة لا تعلم عن المخاض شيئا، " فالإنسان – بلا شك– لا يلجأ إلى مثل هذا القول إلا إذا ألمَّ به أمر يكون معه عاجزاً عن التعامل معه، أو معالجته"([3]).

ومن نماذج الحوار الداخلي محاورة القاتل نفسه عندما قتل أخاه وجهل كيفية مواراته ثم شاهد غرابا يقوم بعملية المواراة، فتحدث مع نفسه، يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ

---

[1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 157/5

[2]) سورة مريم: الآيتان (22–23)

[3]) عبد، الدلالة النفسية في سورة مريم، ص81

غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴿31﴾([1]). أجمعت كتب التفسير على أن هذين الأخوين هما ابنا آدم عليه السلام (قابيل وهابيل)([2]). لما كانت أول جريمة قتل عرفها ابن آدم، لم يكن يعرف قابيل كيف يدفن أخاه بعد أن قتله، فكان الحيوان (الغراب) معلما له، فرؤيته الغراب وهو ينبش في الأرض كانت مهداة له بأن يفعل مثلما فعل الغراب، وكان حديثه لنفسه معاتبا لها، أو كان مستنكرا، ففعل مثلما فعل الغراب ودفن أخاه. وهنا يظهر الحوار مع النفس مؤنبا ورادعا، وفيه يمكن أن يصحح الإنسان خطأه أو يبتعد بنفسه عن الشر.

وتأويل الكلام: فأثار الله للقاتل إذ لم يدرِ ما يصنع بأخيه المقتول غرابا كان يبحث في الأرض، يقول: يحفر في الأرض فيثير ترابها؛ ليريه كيف يواري سوأة أخيه"، يقول: ليريه كيف يواري جيفة أخيه. فقال القاتل أخاه حينئذ: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ﴾، ذلك الغراب الذي وارى الغراب الآخر الميت، فواراه حينئذ([3]).

ومن جماليات محاورة الإنسان لنفسه ذلك المشهد الذي يصوره القرآن الكريم للكافرين يوم الحشر العظيم، في ذلك المشهد الذي يعبر عن استغراب الكافرين بأن الله يحصي جميع أعمالهم في كتاب مبين، فيبدأ الكافرون بالمحاورات الداخلية التي تستعظم الكتاب، يقول تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿49﴾([4]). والكتاب الذي تتحدث عنه الآية هو كتاب الأعمال الذي سجل فيه كل الأعمال صغيرها وكبيرها، حلالها وحرامها. ويظهر الحوار الداخلي للكافرين حسرة ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾؛ "أي يا حسرتنا على ما فرطنا في أعمارنا"([5]).

---

[1]) سورة المائدة: الآية31

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 90/3

[3]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 3/ص75-76

[4]) سورة الكهف: الآية49

[5]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 165/5

ومن مشاهد يوم القيامة التي تظهر الحوار الداخلي، فيحدث الكافر نفسه مظهرا الحسرة والندم، يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴿27﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا ﴿28﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا ﴿29﴾([1]). في هذه الآية يخبر الله تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، فإذا كان يوم القيامة ندم وعض على يديه حسرة وأسفا([2]). وحديث الظالم مع نفسه، وهو حوار داخلي فهو يتمنى أن سلك طريق الرسول ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾، هذا التمني يظهر الندم والحسرة.

ويظهر الحوار الداخلي أيضا في قله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴿33﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا ﴿37﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴿38﴾([3]).

يظهر الحوار في هذه الآية في موقعين الموقع الأول في قوله: أما الحوار الداخلي فينحصر في ذلك الحديث الذي وجهه صاحب الجنتين لنفسه ، مرتين. مرة قبل أن يصبح بستاناه أرضا جرداء. ومرة عندما أصبحا فعلا أرضا جرداء. في المرة الأولى تحاور مع نفسه قائلا:﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴿36﴾، وفي هذا الحوار يظهر العظمة التي دخلت نفس المتحاور، ويقينه بأن لا يزول ذلك البستان، واعتقاده بأن يوم القيامة غير آت. وفي المرة الثانية تحاور فيه مع نفسه، قائلا: ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴿38﴾ وهنا يظهر الحوار الداخلي الحسرة والندم في نفس المشرك بالله.

---

[1]) سورة الفرقان: الآيات (27 – 29)

[2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 108/6

[3]) سورة الكهف: الآيات (33 – 38)

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴿76﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴿78﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿79﴾([1])، وفي حوار إبراهيم – عليه السلام– مع نفسه فقد أعطاه الله الرشد والعقل، ومنحه من الصفات ما جعله أمة وحده، ففكر في نفسه وحاله، ومن حوله، فرأى قومه يعبدون الأصنام، وهي حجارة لا تضر ولا تنفع، وقلّب بصره في الكون من حوله، فرأى آيات باهرة، وشَدّتهُ السماءُ بأفلاكها وكواكبها ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴿75﴾، فلما جاء الليل، وأسدل ستاره، وحلكت ظُلمته، رأى الكواكب في كبد السماء، تزينها، وتُلفِت النظر إليها؛ وأعجبه أحدها، فأخذ يرقبه ويتابعه، ورآه أعجب من حجارة الأصنام، وأولى منها بالعبادة والربوبية؛ وحين أَفَل وغاب، عبّر عن رأيه بإلاه يغيب، فقال: ﴿لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾. وفي ليلة أخرى رأى القمر بازغاً ساطعاً، يزين السماء، ويعجب أهل الأرض بمنظره وضيائه، فرآه أولى من غيره بالعبادة والربوبية، وفكّر بصوت مرتفع مسموع ﴿هَذَا رَبِّي﴾؛ فلما اختفى وغاب رأى أن الكون كبير والأمر خطير، فقال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴿77﴾. وتحول من التأمل في الليل إلى التأمل في النهار، فرأى الشمس بازغة، بحجمها الكبير، ونورها العظيم الذي يعم الأرض، وينفع الناس؛ فقال: ﴿هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾. فلما زالت وغابت، أعلن براءته من معبودات قومه وقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾، وهداه التفكير السليم، والخلق القويم، والرغبة في الحق إلى أن يتجه بقلبه وقالبه، وبجسمه وروحه للذي فطر السماوات والأرض، يلتمس هدايته وعنايته، وأنه لا بد من إله لا يغيب، له كامل القدرة على كل شيء، ومن ثم يكون له الحق في الإفراد بالعبودية فهذه المشاهد آيات على الوجود والقدرة والحكمة.

---

[1]) سورة الأنعام: الآية75

ونخلص من خلال استعراض النماذج القرآنية التي تمثلت للحوار الداخلي، وهو حوار الذات، أن الحوار في تلك الآيات، قد بين ما يدور في النفس البشرية المتحاورة مع ذاتها، ويظهر أيضا أن الحوار الداخلي يكون أكثر إجلاء لمكنونات النفس البشرية. ومع ما ورد في كل مما سبق، فإن الحوار الداخلي قد شمل المناجاة والدعاء، وحديث النفس، وهذا يعني أن كل حديث غير مسموع ولا ملفوظ عُدَّ من باب الحوار الداخلي.

2.3 بنية الجملة الحوارية في القرآن الكريم

تتناول الدراسة موضوعات بنية الجملة، وتختصرها في التأكيد، والتقديم والتأخير، والحذف، وذلك على النحو الآتي:

1.2.3 التأكيد

من ينظر في كتاب الله – عزَّ وجلَّ– يجد بعضها مؤكدا وبعضها الآخر يحوي أكثر من أداة من أدوات التأكيد، وأحيانا نجد بعض الجمل الحوارية تكشف بما حوته من أدوات التأكيد عن أسرار دقيقة. والتأكيد هو تمكين المعنى في النفس وتوقويته، وفائدته إزالة الشك وإماطة الشبهات التي ترد في الكلام[1].

ومن خلال استقراء توظيف (إنَّ) في القرآن الكريم ذهب أغلب العلماء إلى أن التوكيد هو أصل معانيها، وأكثرها استخداما بالنسبة للمعنيين الآخرين لها " أي التعليل والدلالة على معنى نعم"([2])، ثم إن تتبع السياقات الخطابية التي أعتمد فيها على دلالة التوكيد بـ (إنَّ) تكشف عن قوة دلالتها على هذا المعنى لاستخدامها في قضايا يقينية تتعلق بطرق النجاة من النار، وما تعلق بالجزاء وقضايا التخويف والترهيب والترغيب إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى تصديق وطمأنينة من السامع في تقبله للخطاب مهما كانت الجهة التي صدر منها([3]).

---

[1]) أبو الفتوح، محمد حسين، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، بيروت: مكتبة لبنان، 1995، ص9

[2]) الهلالي، هادي عطية، الحروف العاملة في القرآن الكريم بن النحويين والبلاغيين. بيروت: مكتبة النهضة العربية، 1986، ص31

[3]) المرجع نفسه، ص31

وقد جاء التوكيد بـ "إنَّ" في غير موقع من آيات القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ! قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ! قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[1].

في هذه الآية استخدمت صورتين تركيبيتين تزايدت فيهما أدوات التوكيد لتشكل تطابقاً دقيقاً بين حال السامع وأدوات المتكلم اللغوية، إنَّا إليكم مرسلون التوكيد بـ(إنَّ) والجملة الاسمية وذلك لأنهم منكرون رسالتهم. ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾. والجملة الاسمية إذا كانت لمجرد الإخبار المجرد وبالمقابل تعد الجملة الاسمية شكلا من أشكال التوكيد[2].

وقد يتكرر التوكيد بـ (إنَّ) في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

ومن التوكيد بـ (إنَّ) ذلك ما ورد على لسان إخوة يوسف: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[4]. " فقد قال ابن الأثير: "فإنما جيء باللام هنا لزيادة التوكيد في إظهار المحبة ليوسف –υ – والإشفاق عليه، ليبغوا من أبيهم السماحة بإرساله معهم[5]. وفي إعراب ﴿وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ الواو للحال. وإن واسمها وله متعلقان بـ"ناصحون"، واللام المزحلقة، وناصحون خبر إنَّ. والجملة حال من "نا"[6].

---

[1]) سورة يس: الآيات (14 – 16)

[2]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 241/2

[3]) سورة يوسف: الآية 53

[4]) سورة يوسف: الآية 11

[5]) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، المثل السائر بين الكاتب والشاعر، بيروت: المكتبة العصرية، 1995، 52/2

[6]) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 458/4

وقد يكون المسند إليه اسم والمسند فعل ماضٍ مثبت، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]. لقد فسَّر ابن عاشور هذا النوع من التراكيب في ضوء معناه المقامي فرأى أنَّه إنما ابتدئ الكلام بمسند إليه خبره فعلي وذلك لإفادة تقوية الخبر اهتماما به[2]، ومعنى ذلك أن المسند فعل وليس جملة فعلية، ولو كان جملة لما فهم منه التقديم لأن الخبر أصله التأخير والله اسم (إنَّ) سيكون على أصله من التقديم، كما أن فعل اصطفى أسند إلى (الله) على اعتبار أنه من قام بالفعل على وجه الحقيقة.

ومن ذلك أيضا ما نجده من أدوات التأكيد في كلام السحرة مع فرعون، كقوله I على ألسنتهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[3]، ومثله ما في ردّه عليهم: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[4]، فهذه المؤكدات تشير إلى فقدان الثقة وانعدامها بين الطرفين[5]، إذ لو كانت بينهم ثقة لما وجدت هذه المؤكدات.

ومن المؤكدات استخدام (النون)، ومن شواهد التوكيد بالنون قوله I: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[6].

جاء السياق في صورة التهديد والتشنيع لما أضمره فرعون لأصحاب موسى جراء إيمانهم قبل استئذانه فما كان له أن يظهر لهذا المشهد إلا بما تعتلج به نفسه من حقد وغضب، فكان (القطع، والصلب، والتحذير)، فالقطع من خلاف: أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى؛ لأنّ كل واحد من العضوين خالف الآخر، بأن هذا يد

---

[1]) سورة آل عمران: الآية 33

[2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 241/1

[3]) سورة الشعراء: الآية 41

[4]) سورة الشعراء: الآية 42

[5]) بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر، 1978، ص143

[6]) سورة طه: الآية71

وذاك رجل، وهذا يمين وذاك شمال[1]. والتصليب: مبالغة في الصلب. والصلب: ربط الجسم على عود مُنتصب أو دَقُّهُ عليه بمسامير، والمبالغة راجعة إلى الكيفية أيضاً بشدّة الدقّ على الأعواد[2]، مع إيثار كلمة**(في)** في التعبير للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه[3]، لتجتمع هذه القرائن جميعا في تصوير المشهد ورسم معالمه في الذهن بشكل يدل على روعة التعبير القرآني وجمال بيانه، في سرد هذه الانفعالات النفسية الطاغية على الشعور الإنساني والمؤثرة في توجيهه إلى الحد الذي تخرج فيه النفس إلى الطور الحيواني القائم على الوحشية والصراع.

ومثل ذلك قوله I : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآَخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، إذ يبين القرآن الكريم في هذه القصة وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم، قابيل وهابيل وكيف عدا أولهما على الآخر فقتله بغياً وحسداً له، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله I ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين[5].

ويلحظ كثرة توكيد الفعل بالنون على لسان إبليس في حواره مع رب العالمين أو في جدله مع نبي الله آدم، بأشكال تعبيرية مختلفة منها (لأحتنكن، لأقعدن، لأغوينهم، لأضلنَّهم، لآتينَّهم، ينزغنك، لأزينن)، للدلالة على استمرارية هذه الأنساق الفعلية وظهورها في حركة الصراع بين إبليس والإنسان على مدار وجود الحياة حيث اختلاف تلك الأفعال باختلاف إرادات البشر وانصياعهم لوساوس إبليس.

---

[1]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل، 157/4

[2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 70/9

[3]) الآلوسي، روح المعاني، 219/12.

[4]) سورة المائدة: الآية 27

[5]) العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص159.

من ذلك قوله I: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1]، فالمراد أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها، ولهذا المعنى ذكر القعود لأن من أراد أن يبالغ في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه إتمام المقصود ومواظبته على الإفساد هي مواظبته على الوسوسة حتى لا يفتر عنها قصد تأكيد حصول ذلك وتحقيق العزم عليه[2]، بصياغة تعمد إلى تقوية المعنى وتقديمه كما هو كائن في نفس المتكلم بتلك الحالة التوكيدية التي لا تقف عند حدود هذه الآية بل يتكرر ذلك المشهد في سور كثيرة يؤدي كغيره من القصص القرآني: "بحوافز الأفعال إلى النفاذ إلى أعماق اللاشعور حيث تترسخ العواطف التي تحرك المشاعر الخارجية ومما يجعل هذا التكرار أنفذ في لا شعور القارئ أو السامع أنه تكرار يجسد العظات المنشودة"[3].

ويأتي التوكيد بالقسم فقد ارتبط مفهوم القسم مع تعدد أشكاله وأدواته في اللغة العربية بمعنى التوكيد، إلى حد يمكن القول فيه إن القسم هو التوكيد، ومن نصوص سيبويه في هذا "اعلم أنَّ القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعل غير منفيّ لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة وذلك قولك: والله لأفعلنَّ"[4].

وأسلوب القسم في اللغة، طريق من طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين، أو إزالة شك الشاكين. والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطابهم، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة، في مواضيع شتى، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد. ومن

---

[1]) سورة الأعراف: الآيات (16-17)

[2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 245/5

[3]) الطراونة، دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية، ص144

[4]) سيبويه، الكتاب، 104/3

أسلوب القسم في القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية لقول إبراهيم – عليه السلام – لقومه: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[1]. قال الزمخشري : "التاء فيها زيادة معنى، وهو: التعجب، كأنَّه تعجَّب من تسهل الكيد على يده، وتأتيه، لأنَّ ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته، وتعذره"([2]).

ويجوز حذف فعل القسم وفاعله كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[3]، والتقدير أقسم لأقعدنَّ، فحذف فعل القسم وفاعله وهو إبليس.

2.2.3 التقديم والتأخير

يمثل التقديم والتأخير في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق مراداتها، وإصابة غرض المتكلم، لتحقيق التواصل بينه وبين المخاطب، خاصة أنه يقوم على إعادة ترتيب مكونات الجملة، فيقدم ما حقه التأخير في عرف اللغة واصطلاح النحاة، ويؤخر ما حقه التقديم، ولا يتم ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية وأسلوبية، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير، بحيث تستقر في مكانها المناسب([4]).

وإن التقديم والتأخير مبحث من مباحث النحو، والتي تعني بنظام ترتيب الكلمات داخل الجملة الواحدة، وهو أيضاً أسلوب من أساليب البلاغة، ومظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، يقول الجرجاني عن التقديم والتأخير: " باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصريف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك من بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف

---

[1]) سورة الأنبياء: الآية 57

[2]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 576/2 .

[3]) سورة الأعراف: الآية 15 .

[4]) حسن، سامي عطا، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم: بلاغته ودلالاته، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد37، العدد2، 2010، ص425

عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"([1]). وهو"أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"([2]).

ومن نماذج تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الحوارية في القرآن الكريم قوله –تعالى–: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)[3]، فإنه لو أخر قوله من آل فرعون فلا يفهم أنه منهم[4]. ومن التقديم أيضا قوله – تعالى–: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[5]. قدّم الجبال على الطير، لأنَّ تسخيرها لداود أعجب وأدلّ على القدرة، وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد، والطير حيوان ناطق[6].

من تلك المواضع التي تقدم فيها الخبر شبه الجملة على المبتدأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[7].

تقدم الخبر(شبه الجملة) المكون من(الجار والمجرور) (لله) على المبتدأ(مُلك)، فحرف الجر(اللام) يفيد الملكية فإن(مُلكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا) إنما هو ملك لله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يتخذ هؤلاء الناس المسيح وأمه إلهاً من دون الله، على حدّ قولهم.

ويظهر التقديم والتأخير أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً(36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

---

[1]) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، 1992، ص106

[2]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 233/3

[3]) سورة غافر: الآية28

[4]) المسيري، منير محمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، القاهرة: مكتبة وهبة، 2005، ص133

[5]) سورة الأنبياء: الآية 79

[6]) المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص147

[7]) سورة المائدة: الآية 17

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[1]. جاء البناء التركيبي للآية القرآنية(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ)، ونلحظ أن الجار والمجرور(له) قد تقدم على الفاعل (صاحبه)، وقد يفيد التقديم هنا حرص الصاحب على نصح صاحبه.

3.2.3 الحذف

إنَّ الحذف من أبرز عوارض التركيب في الكلام، والحذف يكثر استخدامه وتتنوع مظاهره من جملة إلى أخرى في النص الواحد بقدر تقدم النص واتضاح جوانب الموضوع، وبسبب دلالة بعض المذكور على بعض المحذوف إلى حدٍّ يصبح معه الحذف عملية آلية، لذلك كان الحذف من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث الأسلوبيَّة والبلاغيَّة والنحويَّة بوصفها انحرافاً عن مستوى التعبير العادي "والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنَّه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه ولا سبب"[2].

ولعلَّ أهمية الحذف ترجع إلى أنَّه لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجّر في ذهن المتلقي شحنة فكريَّة توقظ ذهنه وتجعله يتخيل ما هو مقصود، فالحذف "نوع من الاقتصاد في الجهد بحذف العناصر المكررة أو التي سبق ذكرها، وتميل اللغات جميعاً إلى الأخذ به، ومن ثم اعتبره المحدثون من الظواهر المشتركة في كل اللغات"[3].

وقد حاول بعض البلاغيين إيجاد تبريرٍ بلاغيٍّ لحالة (الحذف) وتقدمها على (الذكر) من منطلق أن (الذكر) هو الأصل، وأصليته تضعف من ردود فعل المتلقي

---

[1]) سورة الكهف: الآيتان(36-37)

[2]) ابن الأثير، المثل السائر، ص279.

[3]) الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م . ص149.

إزاءه بخلاف الحذف، لمخالفة الأصل فيكون مخالفاً لعملية التوقع، وهذه المخالفة تصحبها نفسية لا تتوفر في الحالة الأولى[1].

وقد عرفه الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسِّحر فإنَّك ترى به ترك الذِكر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"([2]).

ومن نماذج الحذف في المشاهد الحوارية في القرآن الكريم قوله – تعالى–: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ(24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ(25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ(26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ(27)﴾[3]. وحذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أي هو رب السموات والأرض والله ربكم ورب آبائكم الأولين، والله رب المشرق والمغرب لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما، واقتصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء.

ووردت جمل حوارية كثيرة وفيها من الحذف الذي ظهر تارة في الكلمة وتارة في الجملة، ومن ذلك الحذف: (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[4]، إذ أصل الكلام: تولى عنهم وانصرف بعيدا وراح يبكي ويشكو إلى ربه، فالحذف يصور حال يعقوب – υ– حيث تفجعت نفسه على يوسف فحذف أكثر من جملة، وحينما تكون النفس في حالة استئناس يبسط لها الكلام.

ومن أمثلة الحذف في الجملة الحوارية حذف حرف النداء في قوله – سبحانه– ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[5]، وتقدير الكلام: يا يوسف، فحذف حرف النداء الياء.

---

[1]) عبدالمطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، سلسلة الدراسات الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص216.

[2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص104

[3]) سورة الشعراء 23–24

[4]) سورة يوسف: الآية 84

[5]) سورة يوسف: الآية 29

ومن الحذف أيضا قوله – تعالى–: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾([1])، فأصله "نسلم عليك سلاما"([2])، فحال الملائكة وهم داخلون على النبي إبراهيم عليه السلام ومقبلين عليه يريدون إلقاء السلام عليه يغني عن ذكر فعل السلام([3]).

ولا تدعي الدراسة هنا أن هذه الأساليب التي ذكرت سابقا قد درست دراسة وافية، ولكنها نماذج تمثيلية لتلك الأساليب، وثمة أساليب أخرى في القرآن الكريم غير التي ذكرت، ولكنها تحتاج لدراسة منفصلة تتناولها بالدرس والتحليل.

3.3 الخاتمة:

يُعدُّ القرآن الكريم منهلاً تستقي منه الأمة أروع العبر والعظات، ويؤسس منهجا لحياة هذه الأمة، فما ضعفت هذه الأمة ولا هانت إلا بابتعادها عن مصدر تشريعها الأول، فحمل القرآن الكريم إضاءات مشرقة أنارت للسف دربهم، وأوضحت مسلكهم، فكانوا يلجؤون إليه في كل أمرهم، وقد شكَّل الحوار القرآني واحدا من أبرز مظاهره الإعجازية، حيث كثرت فيه المحاورات التي سردت ضمن سياقات القصص القرآني التي اعتمدها القرآن واحدة من تقنيات إظهار معجزاته.

وبعد تلك الرحلة التي استحضرت بها الدراسة بعضاً من تلك الحوارات التي وردت في القرآن الكريم، وبعد تحليلها وتفسيرها، فقد خرجت الدراسة بأن الحوار منهج حياة أسس له القرآن الكريم، منذ خلق آدم، فبدأه الله – تعالى– بمحاورة الملائكة في خلق آدم، وقد بينت الدراسة أن الحوار في القرآن الكريم كان لأحداث منتقاة ولم يكن يمثل نقلاً حرفياً لكل ما يجري، وهذا عين البلاغة. وأوْلى القرآن الكريم موضوع أدب الحوار أهمية خاصة، حتى يبقى الحوار عذباً رقيقاً، بعيداً عن الفوضى، فيكون بالتالي أقرب لتحقيق أهدافه المنشودة.

---

[1]) سورة الذاريات: الآية 25

[2]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 404/4

[3]) الأنباري، عبدالرحمن بن محمد (ت 577 هـ)، أسرار العربية، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ص99

وتُمثِّل المواقف الحوارية في القصص القرآني نماذج حيَّة لأدب الحوار، فإن حوارات الأنبياء مع أقوامهم تشير بكل وضوح إلى أدب الأنبياء في كل كلمة تفوَّهوا بها، وفي المقابل فإنَّ كثيراً من مواقف الأقوام وردودهم، تدل على سوء أدبهم مع أنبيائهم. والحوار نتاج عقلية جماعية تؤمن بالآخر وجوداً ورأياً وقراراً وتأثيراً، عقلية لا ترضى إلغاء الآخر ولا تسعى للسيطرة عليه فكراً وسلوكاً. عقلية لا تحتكر العلم والمعرفة دون الآخر بل تسعى لمشاركة الآخر عن طريق تقديره واحترام رأيه ومحاولة فهمه من أجل دوام الصلة معه.

ويهدف الحوار إلى إبراز الجوامع المشتركة بين الطرفين وتعميقها في مختلف المجالات والتأكيد على ضرورة نشر قيم الاعتدال والوسطية والتسامح بين الناس والاستعداد لقبول الآخر. وإن أبرز ما يميز ثقافة الحوار من المنظور الإسلامي أنها تستند إلى القرآن الذي جعلها منهجاً لحل معضلات الأمور حتى ولو كانت عقدية وتستند أيضاً إلى السنة التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم في إدارته للدولة الإسلامية. وإن تجربة التراث الإسلامي الرصين في إرساء معالم ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع تعد نموذجا حياً مليئاً بالمواقف التي تثمر حيوية وإيجابية في التعامل مع مختلف المشكلات.

وقد انقسم الحوار في القرآن الكريم إلى نوعين اتخذهما الله – سبحانه وتعالى– في تصوير المشاهد الحوارية، وهما: الحوار الخارجي، الذي يكون منطوقا ومسموعا، متشكلا بين أطراف متعددة. وثانيهما: الحوار الداخلي، وهو الحوار الذي يكون ذاتيا فلا يخرج من داخل الإنسان فهو حوار غير مسموع ولا ملفوظ.

وقد جاءت حوارات رب العزة في هذه الدراسة على أربع صور هي: حوارات الله – سبحانه وتعالى– مع الملائكة، ومع إبليس، ومع آدم، ومع بعض الأنبياء والرسل. وقد حملت في هذه الحوارات دروسا تعد أنموذجا لأدبيات الحوار وآلياته، فعبرت كلها عن قبول الآخر والاستماع إليه، واتخذت الإقناع سبيلا لها، فربُّ العزة يحاور الملائكة في أمر خلق آدم، مع أنه قادر على أن يقول: كن فيكون. وحاور إبليس، وهو القادر – سبحانه وتعالى– على أن يهلك إبليس دون محاورته، ولا الاستماع له، لكنها دروس يحملها الحوار القرآني لأبناء الأمة، أن القوة لا تغني عن الحوار والإقناع. وتلك

الحوارات التي أوردها القرآن الكريم للأنبياء والرسل مع رب العزة، التي مثلت أدب الحوار في مخاطبة الأنبياء لربهم – سبحانه وتعالى–.

أما في حوارات أنبياء الله – تعالى– مع أقوامهم، فقد مثلت للأسلوب الإقناعي في دعوتهم لوحدانية الله – سبحانه وتعالى–، فرسخت لتقنيات الخطاب الذي تحتاجها الأمة في هذه الأيام، وأبرزت تلك الحوارات مدى استيعاب الأنبياء لأقوامهم وهم في أشد حلتهم العدائية لهم.

وقد مثل الحوار الداخلي تقنية أخرى من تقنيات الحوار التي اتكأ عليها القصص القرآني، فكانت نماذج الحوار الداخلي حاضرة في الأسلوب الحواري في القرآن الكريم، ومع قلتها إلا أنها أدت دورا بارزا في تشكيل مشاهد تصوير شخصيات تلك القصص القرآنية، فكانت الأقرب إلى التعبير عن الحالات النفسية التي كانت تعيشها تلك الشخصيات.

أما بنية الجملة الحوارية، فقد اقتصرت الدراسة على الآيات القرآنية التي شكلها الحوار القرآني، وأبرزت التوكيد، والتقديم والتأخير، والحذف، نماذج لبنية الحوار القرآني، وقد سيقت بعض النماذج تمثيلا لتلك الأساليب.

وإن الدعوة لله أن يكون قد أنجز هذا العمل خالصا لوجه الكريم، وطلبا للحصول على العلم والفائدة

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، (1995)، **المثل السائر بين الكاتب والشاعر**، بيروت: المكتبة العصرية.

الآلوسي، محمود شهاب الدين، (2001)، **روح المعاني**، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (1997)، **أسرار العربية**، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية (2007)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: الرحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري والسيد عبد العال ومحمد الشافعي، قطر: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

أنيس، إبراهيم، (2004)، **المعجم الوسيط**، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

بدوي، أحمد أحمد، (1978)، **من بلاغة القرآن**، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.

البشايرة، أحمد سليمان، (2005)، مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، المجلد2، العدد3، ص ص155-182.

البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، (د.ت)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، استنبول: دار الكتاب الإسلامي.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، (1996)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، بيروت: دار الفكر.

الجرجاني، عبدالقاهر، (1992)، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.

جونسون، ر.ف، (1978)، **الجمالية**، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، بغداد: دار الحرية للطباعة.

الجيوسي، عبدالله، (2006)، أسلوب الحوار في القرآن الكريم: خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، المجلد2، العدد1. ص ص125-139

حادي، أحلام، (2004)، **جماليات اللغة في القصة القصيرة**، عمان، الأردن، المركز الثقافي.

حسن، سامي عطا، (2010)، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم: بلاغته ودلالاته، **مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون**، المجلد37، العدد2، ص ص416-436.

حمدان، عبدالرحيم، (2008)، اللغة في رواية "تجليات الروح للكاتب محمد نصار، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المجلد16، العدد2، ص ص134-147

الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي، (1998)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

حنفي، عبدالحليم، (1985)، **أسلوب المحاورة في القرآن**، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حوّى، سعيد، (1985)، **الأساس في التفسير**، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو حيان، محمد بن يوسف، (2007)، **البحر المحيط**، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد وعلي محمد، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخالدي، صلاح عبدالفتاح، (1998)، **القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث**، دمشق، دار القلم.

خلة، محمود عبدالخالق، (2002)، **سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

خوني، علية، (2013)، **الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان عباس بن الأحنف**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، الجزائر.

الداية، رائد مصباح، (2011)، **البناءات الجمالية في النص القرآني**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

الدرويش، محيي الدين، (1992)، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر.

الراجحي، عبده، (1984)، **النحو العربي والدرس الحديث**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

الرازي، فخر الدين، (1990)، **أسرار التنزيل وأنوار التأويل**، تحقيق: محمد أحمد وآخرون، العراق: وزارة الأوقاف.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (2004)، **مختار الصحاح**، بيروت، لبنان، دار صادر للنشر والتوزيع.

رمضان، كريب، (2009)، **فلسفة الجمال في النقد الأدبي: مصطفى ناصف أنموذجا**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1997)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (1997)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزيادات، تيسير محمد، (2010)، **توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى**، عمان، الأردن، دار البداية للنشر والتوزيع.

زيتون، لطيف، (2002)، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، بيروت، مكتبة لبنان.

السامرائي، إسماعيل، (1989)، **الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد، (2008)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: موسى مسعود وأشرف القصاص، ط1، القاهرة: دار النشر للجامعات.

السعدون، نبهان حسون؛ والطحان، يوسف سليمان، (2008)، الحوار في القصة القرآنية: قصة موسى – عليه السلام– أنموذجا، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد7، العدد4، ص ص123–131

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (د.ت)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

سعيد، هالا، (2010)، **الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن.

شاكر، كمال مصطفى، (1992)، **أحسن القصص، قصص الأنبياء**، ط2، دمشق: دار المعرفة.

أبو شمالة، أماني صالح، (2010)، **أثر استخدام السرد التحليلي للقصة القرآنية على تنمية التفكير الاستنتاجي والاتجاه نحو تعلم القصة لدى طالبات الصف الثاني عشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (د.ت)، **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر.

الصابوني، محمد علي، (1985)، **النبوة والأنبياء**، بيروت: مؤسسة مناهل الفرقان.

الصابوني، محمد علي، (2001)، **صفوة التفاسير**، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

صافي، محمود بن عبد الرحيم، (1995)، **الجدول في إعراب القرآن وصرف وبيانه**، ط3، بيروت: دار الرشيد.

ضمرة، معن، (2005)، **الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (2000)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد، (1996)، **أدب الحوار في الإسلام**، القاهرة: دار النهضة.

طنطاوي، محمد سيد، (1998)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1997)، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

العبادي، عيسى قويدر، (2014)، أنماط الحوار في شعر محمود درويش، **مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد41، العدد1، ص ص29-42

عباس، فضل حسن، (1987)، **القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته**، عمان، الأردن، دار الفرقان.

عبد، عقيل عكموش، (2007)، الدلالة النفسية في سورة مريم، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، المجلد6، العددان(3-4)، ص ص74-86

عبدالباقي، محمد فؤاد، (1981)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبدالعزيز، سعد، (1970)، **الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة**، القاهرة، المطبعة الحديثة.

عبدالمطلب، محمد، (1984)، **البلاغة والأسلوبية**، سلسلة الدراسات الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبدالنور، جبور، (1984)، **المعجم الأدبي**، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.

عتر، نور الدين، (1985)، **القرآن الكريم والدراسات الأدبية**، دمشق: المطبعة الجديدة.

عبدالوهاب، محمود، (1997)، الحوار في الخطاب المسرحي، **مجلة الموقف الثقافي**، المجلد9، العدد10، ص ص49-61.

العلواني، رقية طه جابر، (2005)، **فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية**، المدينة المنورة: مؤسسة آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

العمري، أحمد جمال، (2001)، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، القاهرة: مكتبة الخانجي.

عنبتاوي، نهاية محمد غازي، (2010)، **أثر الحوار في رسم شخصيات الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية، عمان، الأردن.

العوفي، نجيب، (1987)، **مقاربة الواقع في القصة القصيرة**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

ابن فارس، أحمد، (1994)، **المقاييس في اللغة**، بيروت: دار الفكر.

أبو الفتوح، محمد حسين، (1995)، **أسلوب التوكيد في القرآن الكريم**، بيروت: مكتبة لبنان.

فرحات، أسامة، (1997)، **المونولوج بين الدراما والشعر**، القاهرة، الهيئة العاملة للكتاب.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، (2002)، **الجامع لأحكام القرآن**، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

قصراوي، مها حسن، (2004)، **الزمن في الرواية العربية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

قطب، سيد، (د.ت)، **التصوير الفني في القرآن**، القاهرة: دار المعارف.

قطب، سيد، (1985)، **في ظلال القرآن**، ط11، بيروت: دار الشروق.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، (د.ت)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة.

لفتة، ضياء غني، (2010)، **البنية السردية في شعر الصعاليك**، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع.

لونيسي، الصالح، (2011)، **تيار الوعي في رواية التفكك لرشيد بوجدرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

محمد، عبدالصمد عبدالله، (1995)، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم: خصائصه التركيبية وصوره البيانية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض.

المسيري، منير محمود، (2005)، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم: دراسة تحليلية**، القاهرة: مكتبة وهبة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (2005)، **لسان العرب**، ط4، بيروت: دار صادر.

نزال، فوز سهيل، (2001)، **لغة الحوار في القرآن الكريم: دراسة وظيفية أسلوبية**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الهلالي، هادي عطية، (1986)، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بن النحويين والبلاغيين**. بيروت: مكتبة النهضة العربية.

يعقوبي، محمود، (2000)، **المنطق الفطري في القرآن الكريم**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.